أغاني (أناشيد) الآبار عند قبيلة قريش في العصر الجاهلي

*ليلى توفيق العمري**

ملخص

يقوم البحث على جَمْع أغاني (أناشيد) الآبار عند قبيلة قريش في العصر الجاهلي، والتعليق عليها تعليقاً يلقي ضوءاً على طبيعة الحياة القائمة أساساً على وجود الماء، والمكانة الاجتماعية التي تتحصّل لمن يمتلكون هذه الآبار، وتعود أهمية جَمْع الباحث لهذه الأغاني (الأناشيد) في تعريف القارئ في العصر الحديث تراثه العربي الذي تشكّل هذه الأغاني (الأناشيد) جزءاً حيوياً يتصل بنواحي الحياة الجاهلية المختلفة، بحيث يشي مجموعها – على قلّته – أن ثمة أرجازاً كانت شائعة بين العرب في العصر الجاهلي، وكانت محطّ اهتمام القدماء، وذلك للصفة الدينية التي كانت تَسِمُها، والتي كانت وراء حَفْر قريش آبارهم، إذ كانت غايتهم من حَفْرهم آبارهم سقاية الناس والحجيج، وقد عَمِلت قريش على استقطابهم إليها بسقايتهم من هذه الآبار، وذلك يمنحها قوة دينية سياسية، واجتماعية، واقتصادية في السيطرة على غيرها من القبائل. وتحقيقاً لهذه الغاية فقد اتّبع قائلو هذه الأغاني أساليب وصيغاً أسلوبية مكّنتهم من إظهار محاسن آبارهم، بوَصْف مياهها بالكثرة والغزارة، وبيان صلاحيتها للشُّرْب، وفائدتها في الشِّفاء من الداء.

ولارتباط هذه الأغاني (الأناشيد) بسقاية الحجيج، فقد كانت الكتب الدينية والكتب التي تحدّثتْ عن أخبار مكة أو ذكرتْ آبارها أهمَّ مصادر الباحث في بحثه، وكان الباحث قد اتّبع في تنظيمها، وتحقيقها، والتعليق عليها منهجاً (أسلوباً) محدّداً يؤدي غرضه في بحثه في لفت النظر إليها، راجياً أن تأتي دراسة تكشف يوماً عن مجموعها في إحدى المكتبات، ودراستها دراسة تقف بنا على معالم الحياة العامة التي كان يحياها العربي في العصر الجاهلي، وكيفية تشكيله لها.

الكلمات الدالة: أغانٍ، أناشيد، آبار، حَفْر، استقاء.

المقدمــة

لفت نظر الباحث في قراءته بعض الموارد الإسلامية ما ورد فيها من رجز كان المسلمون والرسول (ﷺ) يقولونه وهم ينقلون وينقل الرسول (ﷺ) معهم الحجارة بنفسه عند بنائهم المسجد الأول في المدينة[1]، أو ما أُثِرَ عن بعض الصحابة[2] أو أحد المقرَّبين من الرسول (ﷺ)[3] أو قائل من المسلمين[4] أنهم كانوا يرتجزون وهم يبنون مسجده هذا (ﷺ)، أو ما رُوِي عن الرسول (ﷺ) أنه كان يرتجز برجز عبدالله بن رواحة وهو ينقل التراب يوم الخندق[5]. ووفد على خاطر الباحث حينئذٍ إمكانية العثور على أرجاز تقال في أجواء العمل في العصر الجاهلي، إذ وَجَد رجزاً لأبي طالب قاله عندما اختلفت قريش في وضع الرُّكْن في البيت في مرحلة بنائه، ووضعه الرسول (ﷺ) – قبل أن يبعث – فيه[6]، وعزّز هذه الفكرة بما قرأه من إشارة للبياتي عن بقايا أغاني العمل التي يقدّمها لنا الشعر الجاهلي[7].

كانت تلك المؤشّرات الخطوة الأولى التي ولّدتْ فكرة هذا البحث عند الباحث، فأخذ يبحث في المظان القديمة عن أرجاز أو أخبار أو روايات يمكن أن تكون معيناً له في بحثه تكون في أعمال الحَفْر أو البناء، فقد كانت غايته فيه العثور على هذه النصوص التي تُقال في أجواء العمل الذي يقدّم العامل فيه عملاً بمجهود ما[8]، ولكن قلّة ما وجده منها في جانب، وغياب بعضها في جانب آخر جعله يَقْصُر بحثه على موضوع واحد هو أغاني (أناشيد) الآبار[9] في العصر الجاهلي.

إن غاية الباحث في بحثه قادته إلى تحديد هدفه منه وهو تعريف القارئ في العصر الحاضر تراثه العربي الذي تعدّ هذه الأغاني (الأناشيد) جزءاً منه، وهو هدف طالما نَزَع الباحث إليه في بحوثه المتعدّدة، بحيث يقف القارئ على طبيعة الحياة الدينية والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية التي كان يحياها العربي الجاهلي، إذ كان الغرض الذي من أجله حَفَرتْ قريش هذه الآبار هو سِقاية الناس والحاجّ[10]، فقد كانت المياه شحيحة في مكة[11]، وكان "الحاجّ إليها يلقى عنتاً شديداً إذا لم تيسّر له المياه وخصوصاً في موسم الحجّ حيث يكثر الوافدون لأداء الشعائر الدينية"[12]؛ فالغرض إذن ديني يرتبط بالكعبة

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الأردن.
تاريخ استلام البحث 2014/10/12، وتاريخ قبوله 2014/12/11.

© 2016 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

والحجّ إليها، وارتبطت الأغاني (الأناشيد) التي قيلت في هذه الآبار بهذا الغرض الديني، على أن هذا الغرض تطور عند بعضهم إلى الاستفادة المالية في الأجْر الذي كان يأخذه على بئره من بعض الناس[13]. ومن هنا كانت الكتب التي تعرّضتْ لذِكْر هذه الآبار والأغاني (الأناشيد) المرتبطة بها هي الكتب الدينية مثل كتب السيرة وتفسيرها، والكتب التي تحدثت عن أخبار مكة، والكتب التاريخية التي ذكرتْ جُملاً من الأحداث في الجاهلية، بالإضافة إلى معاجم البلدان التي ذكرتْ طائفة من هذه الأغاني (الأناشيد) مقرونة بأسماء الآبار التي قيلت فيها؛ وبذلك يكون الباحث قد اعتمد مجموعة من المصادر في البحث عن أغاني (أناشيد) الآبار، تميّزتْ هذه المصادر عن غيرها من المصادر المذكورة في هذا البحث أن أغاني (أناشيد) الآبار التي وردتْ فيها كانت أوفى طولاً وأكثر عدداً فيها منها، ويقف في مقدّمتها كتاب أخبار مكة للفاكِهي والرَّوْض الأُنُف للسُّهَيلي ومعجم ما استعجم للبَكْري ومعجم البلدان لياقوت الحموي في مواضع متفرِّقة في هذين المعجمين، واستكمل مادته من كتاب فتوح البلدان وأنساب الأشراف للبلاذُرِي، ومن ثم سيرة ابن هشام وابن إسحاق، وأخبار مكة للأزْرَقي، وغريب الحديث لابن الأثير، على تباين هذه المظان في قَدْر الاهتمام بها في تعريفها والوقوف على قائليها وتضمينها مصنَّفاتهم، واستعان بما قدَّمته كتب اللغة وخاصة المعاجم اللغوية من بعض هذه الأغاني (الأناشيد)، واتّكأ على ما ذُكِرَ فيها جميعها من أخبار تدل على مواضعها وحافريها، واستفاد من كتب الحديث والأنساب والطبقات، والتاريخ للمؤلِّفين القدامى والمُحْدَثين، واستأنس بالإشارات التي وردتْ في بعض الدراسات الحديثة من مثل "الشعراء الجاهليون الأوائل" لعادل الفريجات، والدراسة التي قدّم بها البياتي تحقيقه لكتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عُبَيْدة، وبحثه "مدخل إلى البدايات الشعرية عند العرب" على ما يظهر في هذا البحث. ويعود الفضل إليها جميعها في حفظ أسماء الآبار في العصر الجاهلي، والأغاني (الأناشيد) التي قيلتْ فيها في غياب أي كتاب يمكن أن يكون أُلِّف فيها أو تضمّن مجموعة منها يُؤْثَر عن القدماء.

ويكشف هذا كله عناية القدماء في الحديث عن الآبار في العصر الجاهلي؛ حديثاً تضمّن تحديد مكانها، ومَن احتفرها، ويدل على اهتمامهم بتضمين الأغاني (الأناشيد) التي قِيلتْ فيها في مصنّفاتهم، اهتماماً فرضته كثرة أعداد هذه الآبار[14]، وهي أعداد تقف وراء الغاية التي من أجْلها حَفَر أهل مكة آبارهم، نستدلّ على ذلك من بعض الأخبار التي رواها القدماء في حديثهم عنها، والتي تشير إلى أنها كانت محطّ اهتمام غير واحد منهم؛ يقول ابن كثير في روايته[15]: "وذكر ابن إسحاق وغيره أن مكة كان فيها أبيار كثيرة قبل ظهور زَمْزَم في زمن عبدالمطلب ثم عدّدها ابن إسحاق وسمّاها وذكر أماكنها من مكة وحافريها إلى أن قال فعفّتْ زَمْزَم على البئار كلها...". ونستشفّ كثرة أعداد الآبار من الخبر الذي يرويه ابن الأثير في حديث بَدْر، يقول[16]: "فَقُذِفوا في طَوِيٍّ[17] من أطْواءِ بَدْرٍ[18] أي بِئرٍ مَطْوِيَّةٍ من آبارِها". ويبدو أن أعداد هذه الآبار كانتْ أكثر مما يتوقّعه القدماء، وربما كانتْ مجال حديثهم أو جدالهم فيها، وإلاّ بماذا نعلِّل قول الفاسي يُحْصي أعدادها، إذ يقول[19]: "وجملة الآبار التي يحتوي عليها سور مكة ثمانٍ وخمسون بئراً". وكانوا تجاوزوا في اهتمامهم بإحصاء أعدادها إلى إحصاء أسمائها، وظهر هذا التجاوز على وجه الخصوص في أسماء زَمْزَم[20]، فقد ذكر مرتضى الزَّبيدي في خبر يرويه عن ابن برِّي أن لزَمْزَم اثني عشر اسماً، ثم قال[21]: "وقد جمعتُ أسماءها في نبذة لطيفة، فجاءت على ما ينيّف على ستين اسماً مما استخرجتُها من كُتب الحديث واللغة".

إن اهتمام القدماء بالآبار على هذا النحو حدا ببعضهم إلى التأليف في موضوعها، بعض هذه المؤلَّفات وصل إلينا وطُبع وحُقِّق، وبعضها الآخر كان غير ذلك، أولى هذه المؤلَّفات المطبوعة المحقَّقة كتاب "البئر" لابن الأعرابي (ت231هـ)، وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أنه يعدّ من تلك الرسائل التي كانت نواة للمعاجم العربية الكبيرة فيما بعد، والتي كانت تعتني بجمع الألفاظ التي تدل على معنى واحد، أو تتناول موضوعاً واحداً في كتاب[22]، فهو يقدّم تفسيرات نوعية في علم المياه – إن جاز التعبير – تكمن في البعد اللغوي للألفاظ التي اشتمل عليها، والتي صنّفتْ المياه بحسب صلاحيتها للشُّرْب، وعبّرت عن حالات مختلفة في إنشاء الآبار، والكتاب على قيمته اللغوية وفائدته العلمية وتخصّصه في موضوعه لا يتصل بمادة هذا البحث، فهو لم يتحدّث عن آبار مكة، ولم يذكر الأغاني (الأناشيد) التي قيلت فيها، ولكن اهتمام القدماء في التأليف في الآبار لم يقتصر على التأليف فيها لغوياً بالصفة المعجمية في معاجم المعاني، وإنما تجاوزوا ذلك إلى التأليف في موضوع الآبار نفسها تأليفاً قد يكون أدبياً تاريخياً وتسجيل الأغاني (الأناشيد) التي قيلتْ في حَفْرها، وإن تكن هذه المؤلَّفات من التراث الذي لم يصل إلينا، وغابتْ أصوله عنّا، أو كانت من المخطوطات التي ما زالتْ حبيسة أو خبيئة في مكتبة من مكتبات العالم، إلاّ أن ثمة إشارات وردتْ عند الرواة ذكروا فيها كتباً بعينها أُلِّفتْ في الآبار؛ فقد وردتْ غير إشارة في كتب تفسير السيرة النبوية ومعاجم البلدان واللغة تذكر أن للزُّبَيْر بن بَكّار (ت256هـ) كتاباً فيها؛ أولى هذه الإشارات ذكرها السُّهَيْلي، قال بعد أن استشهد بطائفة من أغاني (أناشيد)

الآبار[23]: "ذكر أكثره أبو عُبَيْد البَكْري، وبعض هذه الأرجاز أو أكثره في كتاب الزُّبَيْر بن أبي بكر". وثانيتها ذكرها ياقوت في رَسْم "أحْراد"؛ قال[24]: "رَوَى الزُّبَيْر بن بكّار عن أبي عُبَيْدة في ذِكْر آبار مكة...". وثالثتها ذكرها ياقوت أيضاً في رَسْم "بَذَّر" وسمَّى فيه كتاب الزُّبَيْر – ووردتْ هذه الإشارة كذلك عند مرتضى الزَّبيدي في تعريفة "بَذَّرَ" ومَنْ بناها – قال ياقوت[25]: "وذكر أبو عُبَيْدة في كتاب الآبار...". ورابعتها ذكرها ياقوت في رَسْم "الجَفْر"؛ قال[26]: "قال الزُّبَيْر وهو يذكر مكة حاكياً عن أبي عُبَيْدة قال: واحْتَفَرتْ كل قبيلة من قريش في رِباعهم بئراً...". وخامستها تذكر ما كان ياقوت ينقله عن الفاكهي في هذا الموضوع؛ يقول[27]: "وقال محمد بن إسحاق الفاكهي في كتاب مكة: بئر خُمّ... حَفَرها مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ...".

إن ما ذكره السُّهَيْلي عن البَكْري، وما نقله ياقوت عن الفاكهي لهو أكبر دليل على اهتمام القدماء بالحديث عن آبار مكة، فإن لم يكن الحديث عنها كحديثهما ولم يكن تأليفاً في صورة كتاب ككتاب الزُّبَيْر فإنما يكون في موضوعات أفردوها لها، وجعلوا عناوينها بها، وخصّوها بمكة وبقبيلة قُرَيْش[28]، وأرَّخوا لوجودها في مكة، أو حَفْرها فيها، أو الشُّرب منها بوجود زَمْزَم؛ فذكروا الآبار التي كانت قبل زَمْزَم، والتي كانت بعدها، والتي كانت تُشْرَب معها[29]، وربما جمعوا الحديث عنها في رَسْم بئر منها كما فعل البكري[30]، أو كان الحديث عنها متفرِّقاً في رَسْم كل واحدة منها كما هو الشأن عند ياقوت وفي معاجم اللغة[31]، أو كان في الحديث عن مآثر قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة عندما جَمَع إليه قومه من بني فِهْر بن مالك، ومن ثَمَّ حَفْره بئره "العَجُول"[32].

واحتفى القدماء بالحديث عن زَمْزَم، ويذكرون أسباباً لاحتفائهم بها؛ لأنها بظهورها عَفَّتْ على الآبار كلها التي كانت قَبْلها، وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولفَضْل مائها على ما سواها من المياه في العُذوبة والكثرة[33]، وتناقَلَ الرواة الرؤيا التي أوحتْ إلى عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مَناف حَفْر "زَمْزَم"، وما قيل له في حَفْرها، وما جَرَى من الخُلْف فيها[34].

إن اهتمام القدماء بالآبار على هذا النحو ينبئ عن قيمتها فيما حُفِرتْ له على المستوى الديني والاجتماعي، فقد ساعدت هذه الآبار على أن تكون مكّة مسرحاً دينياً على الصعيد القومي، تجتمع فيها القبائل على اختلافها من داخل مكة ومن خارجها، لتوفّر مادة الحياة التي تطفئ ظمأ الحجيج، وعلى المستوى السياسي الذي يحسب في سيادة قريش لاستئثارها بهذه الآبار، وعلى المستوى الاقتصادي الذي يعود بالمال على مَنْ كان يأخذ على بئره الأجْرَ من بعض الناس[35]. لذلك لا غَرْو أن نجد أن موضوع الآبار أو الحديث فيها كان من الموضوعات التي يُتَحدَّث بها في المجالس بعد العصر الجاهلي، وهذا مؤشّر على أنها كانت كذلك في العصر الجاهلي، قال الأزرقي في خبر يرويه عن ابن إسحاق – ومن ثَمَّ الفاكهي فيما يرويه عن الزُّبَيْر بن بَكّار عن أبي عُبَيْدة–[36]: "وقد سمعنا في البيار حديثاً جامعاً". وتتضح أهمية هذه الآبار عندما يتجاوز الحديث فيها مجالس الرواة إلى أن تكون محطّ اهتمام الخلفاء في استفسارهم عنها؛ ذكر الأزرقي في خبر آخر يسنده إلى سعيد بن محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم أنه قال[37]: "أخبرني أبي قال: سألني عبدالملك بن مروان من أين كانت أوَّلية قُرَيْش تشرب الماء قبل قُصَيّ، وكَعْب بن لُؤَيّ، وعامر بن لُؤَيّ، قال: فقال أبي: لا تسألْ عن هذا أحداً أبداً أعلمُ به مني سألتُ عن ذلك مشيخة جلة[38] دخل الإسلام على أحدهم".

وأدركتْ العرب قيمة هذه الآبار في حياتهم، قيمة تخطّت مناحي الحياة العامة كلها إلى الناحية الفنية، إذ كانت سبباً لأن يتراجز عليها ورّادها وهم يَسْتَقُون منها، وقد حَظِيَتْ "العَجُول" باهتمام الرواة في هذا الأمر، ربما لأنها أول سِقاية احْتُفِرَتْ في مكة[39]، فذكروا أن العرب "كانت... إذا اسْتَقَوْا منها ارتجزوا، فقال رجل من وارديها: نَرْوِي على العَجُولِ ثُمَّ نَنْطَلِقْ..."[40]. ويشبه هذا الخبرَ الخبرُ الذي رواه الفاكهي عن "الغَمْر"؛ قال[41]: "وكانوا يُسْقَوْن عليها، ويُبارون بها ويقولون فيها الأشعار".

ويبدو – من الأخبار التي يذكرها الرواة – أنه كان للآبار دور حيوي في الحياة العامة للعرب لا يقتصر على الاستقاء منها، والتراجز عليها، وقول الأشعار فيها، وإنما كانت مجالاً لهم لقضاء بعض الوقت عندها للترويح عن النفس، على مثال ما يحدث في هذه الأيام، ولأهمية هذا الأمر في حياتهم فقد استمر فيهم إلى ما بعد الجاهلية، ذكر ياقوت في خبر يرويه عن الفاكِهي أنه قال عن "خُمّ"[42]: "وكان الناس يأتون خُمّاً في الجاهلية والإسلام في الدهر الأول يتنزّهون به ويكونون فيه".

أما المُحْدَثون فلم يُؤْثَر عنهم في دراسة اهتمامهم بالحديث عن أغاني (أناشيد) حَفْر الآبار أو الاستقاء منها في العصر الجاهلي، أو محاولة جَمْعِها والوقوف على عددها، وكل ما أُثِرَ عنهم من حديث حَوْلها أنهم ربطوا هذه الأغاني (الأناشيد) بالحديث عن أولية الشعر العربي، وعدّوا نماذجها من أقدم النماذج التي تشير إلى هذه الأولية، وإلى وجود شعر عربي قديم، يقول بروكلمان في هذا المعنى[43]: "أراد باحث الاجتماع والاقتصاد السياسي: كارل بوخر K.Bucher أن يُقَرِّر في كتابه: العمل والنغم، أن حركات العمل الطبيعية المنتظمة، ولا سيّما حركات العمل الجماعي، كانت تحثُّ من تلقاء نفسها على التغنِّي بأغانٍ موزونة مصاحبة للعمل ومُيسِّرة له تيسيراً نفسياً.

وقد رُوِيَتْ لنا عن العرب أيضاً مثل هذه الأغاني التي تصحب العمل". ويعلّق عادل الفريجات على ما ذهب إليه بروكلمان؛ فيقول[44]: "وربما كان بروكلمان هنا يشير إلى أنواع الغناء العربي التي كانت تُؤلَّف وتُنْشَد عند حَفْر الآبار، أو الاستقاء منها[45]...". وفي هذا الصدد يتحدّث القدِّيس نيلوس Nilus[46]– في حديثه عن بَدْو شبه جزيرة سيناء – "عن أناشيد استقاء كان هؤلاء البَدْو ينشدونها عند بلوغهم بعض موارد المياه"[47]، وأن هذه الأغاني تشبه نشيد البئر عند الإسرائيليين[48]، وقد عدّ نيلوس هذه الأغاني نماذج يستدل بها على ما هو موجود عند العرب؛ فيقول[49]: "وما يزال العرب البُداة حتى اليوم ينظمون أغاني غير فنية ولا مصقولة من هذا القبيل".

وأما ما جاء في كتاب "الغناء والشعر" من حديث عن "أغاني العمل"، فإن هذا العنوان يتسق في دلالته العامة مع أغاني (أناشيد) الآبار في أن كلاً منهما يقال عند العمل، ولكن لا صلة لهذه الأغاني بما هو موجود عند العرب، وبما نحن في صدد الكشف عنه، لأن المؤلِّف قصر موضوعه على أغاني الصيد عند الأسكيمو[50]، ومن الطبيعي أن تختلف معالجته لموضوعه عن معالجة هذا الموضوع، لاختلاف الدوافع والأسباب لدراسة كل منهما.

إن اهتمام القدماء بأغاني (أناشيد) الآبار على النحو الذي ذَكَره الباحث، وإشارات المُحْدَثين إليها حفّزاه إلى تتبُّعها في المظان القديمة، ولمّ ما تفرَّق منها فيها، ومن ثم ترتيبها وفق منهج معين ينتظمها في مجموع يحمل عنواناً باسمها، ترتيباً يختلف في أسلوب عَرْضه عن أساليبهم المتعدِّدة في ذِكْرهم أغاني (أناشيد) الآبار في أبوابهم أو موضوعاتهم التي عقدوها لها في مصنَّفاتهم تلك، وينتهج المنهج الوصفي في التعليق عليها مستفيداً من المنهج الدلالي في اللغة، الذي فرضته طبيعة الحديث عنها في القسم الذي عنونه الباحث بالتمهيد، وذلك بالنظر إلى موضوعاتها، والدلالة التي تكمن في تسمية العرب آبارهم بالمسمَّيات التي وصلت إلينا، والتي تحمل مفاخرة بعضهم بعضاً في حَفْرهم آبارهم، حَمْلاً عبّرتْ عنه هذه الأغاني، فكانت ترجمة حقيقية لواقع عاشه العرب في أقدم عصورهم، أما المنهج الذي اتّبعه الباحث في جَمْعه أغاني (أناشيد) الآبار فهو على النحو الآتي:

المتن:

– جعلتُه في قسم واحد تضمّن أغاني (أناشيد) الآبار.

– رتَّبْتُ أسماء الآبار ترتيباً هجائياً وفق الجذر الثلاثي لكل اسم منها.

– رتّبتُ الأسماء المتعدِّدة للبئر الواحد ترتيباً هجائياً أيضاً، كما هو الحال في الأسماء التي سُمِّي بها زَمْزَم.

– وضعتُ إشارة اليساوي (–) بين مسمَّيَيْنِ لبئر واحد وردا عند الرواة، كما هو في الجَفْر والحَفْر، وسُقَيّة وشُفَيَّة.

– ذكرتُ قائل أغاني (أناشيد) الآبار أسفل مسمَّى البئر التي حَفَرها القائل، أو التي حَفَرتها قبيلته بناء على المصادر التي وردتْ فيها.

– ذكرتُ ما ذكرَتْه المصادر عندما لم أتوصّل إلى قائل أغاني (أناشيد) الآبار، كقولي في "الحَفير": قال شاعر بني تَيْم فيها، وقولي في الـ"سُّنْبُلَة": قال شاعر بني جُمَح، وقولي في "العَجُول": يقول فيها بعض رجاز الحاجّ، وقولي في "الغَمْر": قال بعضهم.

– جعلتُ أغاني (أناشيد) الآبار أسفل أسمائها.

– مع الأخذ بعين الاعتبار ما ورد في النقطة السابقة، تدخَّل تسلسل الأحداث في حَفْر زَمْزَم[51] في ترتيب الأغاني أسفلها.

– أثبتُّ أقدم رواية روتْ أغاني (أناشيد) الآبار.

– تجاوزتُ ما ورد في النقطة السابقة إلى الأخْذ بالرواية التي روتْ أغاني (أناشيد) الآبار أكمل من غيرها من الروايات.

– خالفتُ ما ورد في النقطتين السابقتين؛ فأثبتُّ – أحياناً– الرواية التي أجمعتُ أكثر المصادر على روايتها لأغاني (أناشيد) الآبار، كما هو الشأن في قول صَفِيّة بنت عبدالمطلب في زَمْزَم.

– جمعتُ – في ذِكْر أغاني (أناشيد) الآبار – بين بئْرين لورودهما معاً في شاهد واحد، كما هو في "خُمّ ورُمّ".

– ذكرتُ غير شاهد من أغاني (أناشيد) الآبار أسفل مسمّى البئر للقائل نفسه أو لغيره.

– ضبطتُ المفردات اللغوية التي وردتْ في أغاني (أناشيد) الآبار بالحركات تسهيلاً لقراءتها وفَهْمها.

– ذكرتُ مناسبة بعض أغاني (أناشيد) الآبار والأخبار المتصلة بها ذِكْراً موجزاً على ما زوّدتني به المظان القديمة.

– ذيّلتُ أسماء الآبار وما قيل فيها وفي نسبتها بأرقام متطابقة مع أرقام الهوامش.

الهوامش

– جعلتُ الهوامش في قسمين، كان القسم الأول منهما في تحقيق نسبة الأشطار إلى قائل بعينه وتخريجها في المصادر التي وردتْ فيها، وكان القسم الثاني في رواية الأشطار وشرح المفردات.

– ذكرتُ في الهوامش – في تحقيق النسبة – مكان البئر واسم حافرها، والمصادر التي اعتمدتها في تحقيق صحة نسبة

البئر إليه، دون أن أكرِّر في كل مصدر اسم حافر البئر تحنُّباً للتطويل والاستكثار، إلا إذا وُجِد اختلاف في نسبة البئر إليه، فكنتُ حينئذٍ أذكر اسم حافر البئر في المصادر التي نسبتها إلى غيره لبيان هذا الاختلاف.

– ذكرتُ في تخريج الأشطار المصادر التي اعتمدتها في تحقيق الأشطار وتوثيق روايتها فيها، دون أن أكرِّر في كل مصدر اسم قائلها الذي أثبتُّه في المتن، إلا إذا وُجِد اختلاف في نسبة الأشطار إليه، فكنتُ حينئذٍ أذكر اسم القائل في المصادر التي نسبتها إلى غيره لبيان هذا الاختلاف، وإذا وردت الأشطار في بعض المصادر غير منسوبة إلى قائل بعينه، فكنت أشير إلى ذلك بقولي: "دون عَزْو".

– ذكرتُ في تخريج الأشطار المصدر الذي اتّكأتُ عليه في زيادة بعض الأشطار على الأشطار التي وردتْ في المصدر الذي اعتمدته أصلاً لروايتها.

– اتّبعتُ في الهوامش الترتيب الزمني للمؤلِّف، الأقدم فالأقدم، في ترتيب المصادر فيها، واتّبعتُ الترتيب الهجائي للمؤلِّف أيضاً في ترتيب المراجع الحديثة فيها كذلك.

– مع الأخْذ بما ورد في النقطة السابقة اعتمدتُ الترتيب الهجائي في المصادر التي تعدّدت لمؤلِّف واحد في الهامش نفسه[52].

– قدّمتُ – في ترتيب المصادر – الشعر المجموع[53] عليها.

– ذكرتُ عبارة: المصدر السابق أو المرجع السابق، إذا تكرّر ورود المصدر أو المرجع في هوامش متتالية.

– ذكرتُ في الهوامش شهرة المؤلِّف واسم كتابه إذا كان من المصادر القديمة، وذكرتُ اسم العائلة للمؤلِّف – أو الاسم الأخير له – واسم كتابه إذا كان من المراجع الحديثة، وأتبعتُ ذلك كله برقم الصفحة والجزء إن توافر.

– ذكرتُ الشعراء – على قلّتهم – بأسمائهم الصريحة التي عُرِفوا بها.

– مع الأخذ بما ورد سابقاً ذكرتُ في الهوامش – في رواية الأشطار – اسم الكتاب فقط دون مؤلِّفه ورقم الصفحة اختصاراً، إلاّ إذا تعدّدت صفحات الكتاب أو أجزاؤه التي اختلفت الرواية فيها أو في بعضها، فكنتُ حينئذٍ أذكر الكتاب مقروناً بالجزء أو رقم الصفحة التي اختلفتْ الرواية فيها.

– إذا تشابهت عناوين الكتب عند غير مؤلِّف في الهامش الواحد[54]، كنتُ حينئذٍ أذكر – في رواية الأشطار – اسم الكتاب مقروناً بمؤلِّفه منعاً للبْس.

– أثبتُّ في الهوامش اختلاف روايات الأشطار عن روايتها التي اعتمدتها في المتن.

– فسَّرتُ المفردات اللغوية التي تحتاج تفسير والتي وردت في أغاني (أناشيد) الآبار، وينسحب هذا الأمر على تعريف الأعلام التي وردتْ فيها.

– وضعتُ أرقاماً في الحواشي متطابقة مع الأرقام التي وردتْ في المتن، وهي أرقام تشير إلى توثيق المعلومات المثبتة في المتن في المصادر التي عدتُ إليها، وإلى تخريج أغاني (أناشيد) الآبار فيها أيضاً.

إن هدف الباحث من بحثه فرض عليه تقسيمه عناوين عدة، فكان أول ما ابتدأ به منها المقدِّمة التي احتوت أهم العناصر التي ينبغي أن تتوافر في أي مقدّمة، في أنها تعطي صورة عن أهمية أغاني (أناشيد) الآبار في العصر الجاهلي في الوقوف على طبيعة الحياة الدينية والاقتصادية لعرب الجاهلية، وتكشف عن هدف الباحث من جمعه هذه الأغاني (الأناشيد) في غياب أي كتاب يمكن أن يتضمنها، أو دراسة تتحدث عنها قديماً أو حديثاً، وأتْبعها بتمهيد اتّخذ فيه في دراسته لهذه الأغاني أسلوب التعليق عليها، بحيث يفي التعليق بهدف الباحث من جِمْعها، وبغرضه من محاولة العثور على أكبر قَدْر ممكن من هذه النصوص، في إلقاء الضوء على الظروف التي كانت تكتنف أجواء العمل لدى العربي الجاهلي، وأعقبة بنصوص هذه الأغاني مرتبة وفق منهج معين يتيح للقارئ سهولة تتبّعها، وتكوين صورة عن أهم موضوعاتها والغاية التي قِيلَتْ من أجلها، وختم بحثه بخاتمة تبيّن أهم النتائج التي توصّل إليها في جمعه أغاني (أناشيد) الآبار.

التمهيد

روى الأزرقي خبراً عن محمد بن جُبَيْر يصوّر فيه تنافس القرشيين فيما بينهم في حَفْرهم آبارهم، وما قاموا به من سِقاية الناس منها، تصويراً ألقى بظلاله على تنافسهم في امتداحهم مياه آبارهم بالعُذوبة والكثرة، ولا شك أن وصْفهم لمياه آبارهم بالصورة التي تلقانا في الأخبار أو الأغاني (الأناشيد) التي قِيلتْ فيها يكشف عن أهمية الدور الذي أدّته هذه الآبار في حياتهم على غير مستوى، حتى كاد يؤدّي وصْفهم لمياهها إلى تنازع فيما بينهم، يقول الأزرقي[55]: "فلما حفرتْ بنو عبد مَناف آبارها سَقَوْا الناس واسْتَقَوْا الناس عليها فشقّ ذلك على قبايل قُرَيْش ورأوا أنهم لا ذِكْر لهم في تلك الآبار حفرتْ قُرَيْش آباراً وجعلوا يتبارون بها في الرِّيّ والعذوبة حتى كاد أن يكون في ذلك شرٌّ طويل، فمشتْ في ذلك كبراء قريش فأَقْصَرَ الشرّ".

وانتقل تأثير أجواء التنافس بين القرشيين في حَفْرهم آبارهم، ووصْفهم مياهها بالطِّيب والصَّفاء إلى تنافس النساء في مثل ذلك، فكان بعضهن يفخر بمياه البئر التي تعود لقومها بما

يغيظ الأخرى، ونلحظ هذا النوع من الفخر في خلاف الضَّرائر بما يعطي صورة عن طبيعة العلاقات الأسرية بين النساء في العصر الجاهلي[56]، فقد رَوَى الفاكهي خبرين عن أُمَيْمة بنت عُمَيْلَة وصَفِيَّة بنت عبدالمطلب "وكانتا عند العوَّام بن خُوَيْلِد ضَرَّتين تفخرُ إحداهما على الأخرى"[57]، فكانت أُمَيْمة تفخر "بأمِّ أحْراد" وتجيبها ضَرَّتها صَفِيَّة تفخر بـ"بَذَّر"، ثم تقول صَفِيَّة وتجيبها أُمَيْمة، إذ كانت كل منهما تعمل على رَفْع شأن البئر التي احتفرها قومها، وكانت كل واحدة منهما تحطّ في المقابل من شأن البئر التي تعود لقوم الأخرى، بحيث كان سِجالهما يدور على وصْف مياه البئر بالكثرة والجَوْدة والطِّيب، وأن هذه المياه من الكثرة بحيث كانت تَرْوي الحَجِيج، أو كان يدور على وصْفِ مياه البئر بالقلّة، وأن البئر لم تكن من الذيوع ليذكرها قوم الأخرى[58].

إن هذه المعاني التي وردتْ في هذين النوعين من أغاني (أناشيد) الآبار هي المعاني التي حَمَلَتْها الأغاني (الأناشيد) الأخرى التي قِيلت فيها، والتي تغنّى بها العرب مفاخرين بعضهم بعضاً في المزايا التي أضفوها على مياه آبارهم، أو منتقصين من قيمتها وجَدْواها في المساوئ التي ذكروها لها في هذه الأغاني. وقد عبّر العرب عن مواقفهم هذه باستعمالهم أساليب عدّة، وصيغاً وفيرة، ومفردات كثيرة وردتْ في أغاني آبارهم في وصْفهم مياهها؛ فمن الألفاظ التي ردّدوها في هذه الأغاني وتُحْسَب على المزايا الحسنة في وصْفهم لها، الألفاظ التي تدل على كثرة الماء ووَفْرته في الآبار دلالة مباشرة كقولهم[59]: البحر "أمّ أحْراد" في قول أُمَيمة بنت عُمَيْلة: "نَحْنُ حَفَرْنا البَحْرَ أُمَّ أحْرادْ"، والماء الرَّوِي أي الكثير في وصْف "زَمْزَم" في قولهم لعبدالمطلب: "ثُمَّ ادْعُ بِالماءِ الرَّوِيِّ غَيْرِ الكَدِرْ"، و"الجَفْر لا بُدَّ بِأنْ تَطَمّا" لأنها لكثرة مائها يعلوها الماء ويغمرها به. والألفاظ التي تعني الغَزارة والفَيْض والامتلاء وتدل على كثرة ماء الآبار كذلك، فـ"الحَفِير" بحر وهو لكثرة مائه يزخر ويفور غزيراً، كقول شاعر بني تَيْم فيها: "بَحْراً يَجِيشُ ماؤُه غَزِيرا"، وماء "بذَّر" يفيض منها لشدة امتلائها به فهو ماء "قَلاَّس" في قول هاشم بن عبد مَناف: "أنْبَطْتُ بذراً بماءٍ قَلاَّسْ"، و"الغَمْر" تصب الماء الكثير لامتلائها به فهي "تَثُجُّ ماءً أيَّما ثَجِيج". والألفاظ التي تضمّنتْ بعضاً من المعاني السابقة على نحو تأويلي، فقالوا إن ماء هذه الآبار لا يفنى أو لا ينقطع على كثرة الاستقاء منها، كما قيل في وصْف "زَمْزَم" "لا تَنْزِفُ أبداً" في قولهم لعبدالمطلب: "احْفِرْ زَمْزَمْ... لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ"، أو كما خُوطِب عبدالمطلب في وصْفها "وَنَثْلُتَ عادِيّةً حُتُدا"، أو كما فعل قُصَيّ بن كِلاب في "العَجُول" فقد أرْوَى الناس والحَجيج منها مشبعاً إياهم، وإنما كان ذلك لكثرة مائها، فقال: "بِالشِّبْعِ للنّاسِ وَرِيٍّ مُغْتَبَقْ".

كما استعمل العرب تعابير تشي بكثرة مياه آبارهم بأن نَفَوْا عن آبارهم قلّة مياهها، فبَذَّر" لَمْ يُمْقَرْ" في قول صَفيَّة بنت عبدالمطلب: "الطَّيِّبَ العَذْبَ الذي لَمْ يُمْقَرْ"، و"زَمْزم" "لا تُذَمّ" كما قيل في وصْفها: "لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ" وهي "لَمْ تُذَمَّمْ" أيضاً في قول صَفيَّة بنت عبدالمطلب تصفها أنها: "هَزْمَةُ جِبْرِيلَ التي لَمْ تُذَمَّمْ". وعبّروا عن عدم نفاد مياه آبارهم بأن جعلوها سِقاية للحَجيج، يَسْقُون منها الحجيج الأكبر، والأعظم، الكثير الذي يضاهي في كثرته نَعاماً جافِلاً لم يتفرَّق، المُقْبِل منهم والمُدْبِر، وذلك كما قيل في وصْف "بَذَّر": "تَرْوِي الحَجِيجَ الأكْبَرْ، مِنْ مُقْبِلٍ ومُدْبِرْ"، وأنها "كانَتْ بَلاغاً للحَجِيجِ الأكْبَرْ"، وكما قيل في وصْف "زَمْزَم": "تَسْقِي الحَجِيجَ الأعْظَمْ، مِثْلَ نَعامٍ جافِلٍ لَمْ يُقْسَمْ". مستخدمين في تعابيرهم ألفاظاً تدل على إروائهم الحجيج بقولهم: "تَرْوي" في وصْف البئر؛ كما قيل في وصْف "سَجْلة" إنها: "تَرْوِي الحَجِيجَ"، أو قولهم في وصْفها "تَسْقي" منتزعين هذا اللفظ وما يدور في معناه من كونها سقاية للحجيج؛ كما قيل في وصْف "سَجْلَة" إنها: "تَسْقِي الحَجِيجَ"، وكما وَصَف بنو عبدالدار قيامهم على "أمّ أحْراد" على لسان أُمَيْمةُ بنتُ عُمَيْلَة؛ فقالوا: "تَسْقِي الحَجِيجَ"، وكما قيل في وصْف "الطَّوِي" أنها: "كانَتْ عطاءً مِنْ قَدِيرٍ مالِكٍ، يَسْقِي بِها الحُجّاجَ..."، ولذلك سَقَى عبدالمطلب الحَجيج بسخاء فقد "أَعْطَى بِلا شُحٍّ ولا مُشاحِح".

واستخدم العرب الصورة في التعبير عن المعاني السابقة، وانتزعوا مادتها من البيئة أي من المشاهد المحسوس، وذلك أقرب إلى الصدق في التعبير عن تلك المعاني من التعبير عنها بالصور المجردة. وبالغوا في إظهارها بأن جعلوا تشبيهاتهم فيها بيانية، فهم يعبّرون عن شدة فوران مياه آبارهم بمن يشقّ عِرْق الناقة ليستخرج دمه فيشربه، فهو يفور من قوّة تدفّقه، فقالوا في "أمّ احْراد": "تَسْقِي الحَجِيجَ كَدَمِ الفِصادِ". ويعبّرون عن شدّة جَرْيها بجَرْي ماء السحاب في الرَّماد، فهو يجري سريعاً فيه دون أن يعترضه شيء، فقالوا في مياه "أمّ أحْراد" أيضاً: "سَيْحَ سَحابٍ سالَ في رَمادِ". ويعبِّرون عن كثرتها بماء سحاب لم ينقطع، كقولهم في مياه "بذَّر": "مِثْلَ سَحابٍ ماؤُهُ لَمْ يُقْصَرْ"، وبصَوْب المُزْن كما قيل في "شُفَيَّة": "ماءُ شُفَيَّةٍ كَصَوْبِ المُزْنِ"، وبصَوْب السَّحاب كما قيل في مياه الـ"سُنْبُلة": "صَوْبَ سَحابٍ ذُو الجَلالِ أنْزَلَهْ"، وكما قيل في وصْف مياه "الطَّوِيّ": "صَوْبُ السَّحابِ عُذُوبةً لا يُتْرَكُ"، وبصَوْب السَّماء كما قيل في مياه "الطَّوِيّ" في رواية أخرى: "صَوْبُ السَّماءِ عُذُوبةً وصفاءَ". ويعبّرون عن غزارته بغَزِيرِ المُزْنِ كما قالت صَفيّة بنت عبدالمطلب في مياه "بَذَّر": "ونَحْنُ نَسْقِي... كغَزِيرِ

المُزْنِ عِنْدَ الأَحْجَرْ".

وكانت تسميتهم للآبار بالأسماء التي سُمِّيَتْ بها لدلالات عدة؛ ذلك أن العرب أرادوا لمياه آبارهم الذِّكْر الحَسَن والسُّمْعة الطيبة بين القبائل[60]، فأطلقوا على آبارهم أسماء كانوا هم أنفسهم يدركون دلالتها على ما أرادوا وصْف مياه آبارهم به من الكَثْرة والفَيْض والامتلاء، وهي دلالة تتسق مع دلالة المفردات السابقة في المعاني التي فُسِّرت أو أُوِّلت بها، وكان تأويلها ضمن الإطار الذي نحن بصدده؛ فمن أسماء الآبار التي تدل في معناها على الماء الكثير، وربما الماء الكثير المُغْرِق "الرَّوا[61] والغَمْر"، وقد احتملت "زَمْزَم" في أحد معانيها معنى الكثرة، لأنهم قالوا[62]: "إنها مشتقّة من قولهم ماءٌ زَمْزُوم وزَمْزام، أي كثير"، وقيل لأنها مأخوذة من معنى "الزَّمْزَمة عند العرب الكثرة والاجتماع"[63]، وربما "لتَزَمْزُمِ الماء فيها، وهي حركته"[64]، وإنما تكون الحركة من شدّة جَريان الماء لكثرته واجتماعه فيها.

وقد استفاد العرب في تسمية آبارهم من أسلوب التشبيه بالعدد الكبير للدلالة على كثرة المياه فيها، فسمّوا أحد آبارهم في كثرة مياهه "سُنْبُلة" على التشبيه بسُنْبُلة الزَّرْع[65] بما فيها من البُرِّ[66] وغيره الذي لا يُحْصَى عدداً. ودلّوا على امتلاء آبارهم بالمياه بالتشبيه بشيء يقابلها في الامتلاء على اعتبار أن البئر حوض يمتلئ بالماء فسمّوها في هذه الحالة "سَجْلة" على التشبيه بالسَّجْل وهو الدَّلْو الضخمة المملوءة ماءً[67]. كما استفادوا من أسلوب التشبيه في تسمية آبارهم للدلالة على عدد من يَرِدها للشُّرْب منها دون أن تَنْضَب مياهها، فقالوا إن "أمّ أحْراد" أُخذتْ من "الحُرْد" وهو "القَطا[68] الواردة للماء، فكأنها تَرِدها القطا والطير"[69]، وذلك في ظنّي على التشبيه بعدد مَنْ يَرِدها من الناس والحجيج، فهي بحر لا ينفد ماؤها كما قالت أُمَيْمَة بنت عُمَيْلَة: "نَحْنُ حَفَرْنا البَحْرَ أُمَّ أحْرادْ".

وتجاوز العرب أسلوب التشبيه في تسمية بعض آبارهم إلى أسلوب آخر يستفيد من تأويل معناها – في السياق الذي وردتْ فيه – في الدلالة على عدد من يَرِدها للشُّرْب منها للدلالة على كثرة المياه فيها، فـ"العَجُول" سُمِّيت بهذا الاسم من العَجَلة ضِدّ البُطء[70]، إذ يبدو من الرجز الذي قِيل فيها إنه كان يَرِدها أفواج كثيرة من الناس والحَجِيج، فكان يأتيها الناس أولاً يَسْتَقُون منها مسرعين قبل أن يزاحمهم الحَجِيج في القدوم إليها من كل صَوْب للشُّرْب منها، وذلك كقول الراجز: "تَرْوَى عَلَى العَجُولِ ثُمَّ نَنْطَلِقْ، قَبْلَ صُدورِ الحاجِّ مِنْ كُلِّ أُفُقْ".

وكانت تسمية آبارهم الأخرى بأسماء تشي باتساعها ومدى استيعابها للماء الكثير للدلالة على كثرة المياه فيها، فسمّوا بئرهم حينئذٍ الجَفْر[71]، وبأسماء توحي بقوّة الماء وشدّة تدفّقه منها حتى صار الماء يخرج منها من غير مكان فسمّوا بئرهم "بَذَّر" لذلك.

واستخدم العرب أسلوب المقارنة بين الآبار للدلالة على كثرة مياهها، كالمقارنة التي ذكَرَتْها أُمَيْمة بنت عُمَيْلة بين "أمّ أحْراد وبَذَّر" فقد امتدحت الأولى بكثرة مياهها، وذمّت الثانية بقلّة المياه فيها، وإن كانت لجأت في هذه المقارنة إلى استخدام أسلوب التشبية مع النفي، لأن الشيء بنقيضه يظهر ويقوى، فـ: "أُمَّ أحْرادْ، لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّزُورِ" القليلة الماء.

واستخدموا أسلوب الذّمّ في وصْف مياه الآبار التي تعود لبعضهم الآخر والحطّ من شأنها، استخداماً له دلالة عكسية عليهم تُقْرأ في إيجابية هذا التصرُّف منهم في إظهار الصورة الحسنة لمياه آبارهم هم، بغية استقطاب الحَجِيج والناس للاستقاء منها، وذلك باعتمادهم أسلوب المقارنة الذي أشرنا إليه بين طرفين، والذي اتّخذ من أسلوب التشبيه مع النفي إطاراً له، فـ"أمّ أحْراد" بحر في كثرة مائها بما يتصف البحر به من الحياة والحيوية، في حين أن "بَذَّر" قليلة الماء، وقلّة مائها دليل على عدم حيويتها وحياتها، وذلك كقول أُمَيْمة بنت عُمَيْلَة: "نَحْنُ حَفَرْنا البَحْرَ أُمَّ أحْرادْ، لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّزُورِ الجَمادْ".

وقد يأتي أسلوب الذّمّ في صيغة الاستفهام الذي يفيد الإنكار والتقريع[72] للسامع من المتكلِّم لرفض المتكلِّم مضمون الاستفهام الذي اتخذه على السامع، والذي اتّسق في دلالته مع الدلالة المباشرة في وصْف بئره أنها ليست عميقة وبالتالي فهي قليلة الماء، وهذا من شأنه أن يحطّ من شأن الآخر الذي يفخر ببئر صِفَتها على النحو المذكور، مستفيداً من أسلوب الإضافة الذي أفاد الخصوصية والارتباط في تعزيز موقفه منه، وبذلك تكون أُمَيْمةُ بنتُ عُمَيْلَة قد حقّقت في استخدامها لهذه الصيغ الأسلوبية الذّمّ للبئر ولمَنْ يفخر بها، وذلك قولها تجيب ضَرّتها صَفيّة بنت عبدالمطلب: "نَحْنُ حَفَرْنا البِئْرَ أُمَّ أحْرادِ، نَسْقِي الحَجِيجَ كَدَمِ الفِصادِ، دَماً عَبِيطاً لَيْسَ مِنْ أعْوادِ... أتَفْخَرِين بِبَذْرِكِ الرَّهادِ؟". وردّتْ صَفِية بالأسلوب نفسه على ضَرَّتها أُمَيْمة، ولكن خطابها لها لم يكن بضمير المفرد، وإنما بضمير الجَمْع الذي يقلِّل من شأن البئر "أمّ أحْراد"، ومن شأن كل مَنْ يفخر بها من قومها. ويبدو أن إيقاد العداوة بين الضَّرَّتين كان سبباً في توجيه مضامين بعض أغاني (أناشيد) الآبار إلى الرَّفْع من شأن بئر والحطّ من شأن بئر أخرى، توجيهاً يتّسق مع الوضع العام الذي يستشف في هذا النوع من أغاني (أناشيد) العصر الجاهلي في استقطاب الحجيج والناس للاستقاء من مياه الآبار، تحقيقاً للغاية التي من أجلها حُفِرتْ هذه الآبار؛ تقول صَفيّة: "نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرْ... تَرْوِي الحَجِيجَ الأكْبَرْ... وأمُّ أحْرادَ بِشَرّْ... وأنْتُمُ أحْرادُكُمْ لَمْ تُذْكَرْ"، وقولها في

رواية أخرى: "نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرَ بِجانبِ المُسْتَنْذَرْ... كانَتْ بَلاغاً للحَجِيجِ الأكْبَرْ، وأُمُّ أحْرادِكُمُ لَمْ تُذْكَرْ".

وعزّزتْ صَفيّة ذمّها للبئر "أمّ أحْراد" بئر بني عبدالدار بأن وصَفَتْها وصْفاً صريحاً بما يقدح بنظافتها وعدم صلاحيتها للشُّرْب، فهي مرتع للأوساخ، وتكثر فيها الحشرات من الجراد والنَّمْل. وتعدّ مجاهرة صَفِيّة على هذا النحو في حق البئر "أمّ أحْراد" تحدّياً صارخاً لضَرَّتها أُمَيْمة دفعها إلى التصريح أن بئر بني عبدالدار ليس لها – بهذه الصفات – ذِكْر بين ورّاد الآبار إذا قُورِنتْ بئرهم بالآبار الأخرى التي ذاع صيتها بين الناس والحجيج، لنظافة مياهها ونقائها وخلوّها من الشوائب؛ تقول صَفِيّة: "وأمُّ أحْرادَ بِشَرّْ، فِيها الجَرادُ والذَّرّْ، وقَذَرّ لا يُذْكَرْ، وأنْتُمُ أحْرادُكُمْ لَمْ تُذْكَرْ".

فإذا كان أسلوب الذمّ قد أدّى وظيفة إيجابية في وصْف بئر الذامّ بصفة ما حسنة، في مقابل وصْف بئر المذموم بصفة سلبية، كان استخدام العرب أسلوب المدح المباشر أولى في إظهار محاسن آبارهم، استخداماً تنوّع بين الوصْف الصريح المثبت أو المنفي، وبما يمكن أن يُؤوَّل استخدامه في باب الوصْف من استخدام أسلوب التشبيه، والدلالة اللغوية الكامنة في أسماء الآبار: في وصْف مياهها، ووصْف الآبار نفسها، ووصْف تُرْبتها أو الشُّرْب منها، فقد كان من أهم ما امتدح العرب به مياه آبارهم في وصْفهم لها أنها طيِّبة الطعم تخلو من الملوحة، وهذا أمر يهمّ الحَجيج الذين لا تناسبهم المياه المالحة وهم في حالة من الجهد والتعب والعطش، كوصْفهم ماء "بَذَّر" أنه الماء "الطَّيِّب العَذْب" في قول صَفيّة بنت عبدالمطلب: "نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرَ بِجانبِ المُسْتَنْذَرْ، الطَّيِّبَ العَذْبَ الذي لَمْ يُمْقَرْ"، ووصْفهم ماء "الطَّوِيّ" أنه "عُذُوبة لا يُتْرَك" في قول عبد شمس بن عبد مَناف: "إنّ الطَّوِيَّ إذا ذَكَرْتُمْ ماءَها، صَوْبُ السَّحابِ عُذُوبةً لا يُتْرَكُ". وقد تجتمع في مياه الآبار صِفة أخرى إلى جانب العُذوبة تشير إلى صلاحيتها للشُّرْب هي "الصفاء" التي تدل على معنى النقاء، كما قيل في وصْف آخر لمياه "الطَّوِيّ": "إنَّ الطَّوِيَّ إذا ذَكَرْتُمْ ماءَها، صَوْبُ السَّماءِ عُذُوبةً وصفاءَ". وتميزتْ "زَمْزَم" عن غيرها من الآبار في وصْفِ من وَصَف مياهها أنها مياه حلال مباحة للحَجيج كما قال عبدالمطلب فيها: "وهي لِشارِبِها حِلٌّ وبِلْ"، وأنها طيّبة الطعم لا تتعب شاربها، بل تجعله هنيئاً رَفِيهاً، كما قال خُوَيْلِد بن أسد بن عبدالعُزَّى لعبدالمطلب: "لَقَدْ سُقِيتَ ماءً رَغَدا"، ولذلك لا عجب أن يلتفت العرب إلى أثر مياه آبارهم في شاربيها، وإلى فائدة الشُّرْب منها في الشِّفاء من الدَّاء، وفي قيامها مقام الطعام في قَطْع الجوع عنهم، كما قالت صَفِيّة بنت عبدالمطلب في وصْف "زَمْزَم": "نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ زَمْزَمْ... شِفاءُ سُقْمٍ وطَعامُ مُطْعِم"[73]، ولهذه الفائدة ذهب اللغويون إلى تفسير معنى بعض المفردات اللغوية التي وُصِفتْ بها "زَمْزَم" أنها "حِلٌّ وبِل"، فذكروا أن من المعاني التي احتملتها لفظة "بِلٌّ" أنها شِفاء من قولهم: بَلَّ من مرضه وأبَلَّ بَرَأَ وصَحَّ[74]. وفي هذا الصدد يروي الأزْرَقي خبراً يتصل بسنده إلى مجاهد أنه قال: "ماء زَمْزَم لِما شُرِب له، إنْ شربْته تريد شفاءً شفاك الله، وإنْ شربْته لظمأ أرْواك الله، وإنْ شربْته لجوع أشبعك الله"[75].

وفي سياق الدلالة اللغوية نجد العرب قد سمّوا آبارهم تسميات تشير إلى المعاني السابقة في امتداح مياه آبارهم، فقيل إنهم سمّوا "خُمّاً" بهذا الاسم لتدل في معناها اللغوي على نحو تاويلي على معنى النقاء[76]، وسمَّوْا "شُفَيّة" "بلفظ تصغير شِفاء للذي يَشْفي من الدّاء"[77].

واستخدم العرب في موضوع المديح أسلوب النفي في وصْف مياه آبارهم وصلاحيتها للشُّرْب، وتدور أغلب أوصافهم في هذا الأسلوب على وصْف المياه بالصَّفاء كما قيل في وصْف "زَمْزم" إنه الماء غَيْر الكَدِر"، في قول مَنْ قال لعبد المطلب: "ثُمَّ ادْعُ بِالماءِ الرَّوِيِّ غَيْرِ الكَدِرْ"، ووَصْف "الطَّوِي" أن مَنْ يشرب من مائها يستعذبه لعدم ملوحته، ويكون ذلك مدعاة للشارب للإقبال عليها، فلا يغادرها تاركاً لها، ولا يكره ماءها، فهو "عُذُوبة لا يُتْرَك" وهي "لَيْسَتْ تُقْرَك" في قول عبد شمس بن عبد مَناف فيها: "إنّ الطَّوِيَّ إذا ذَكَرْتُمْ ماءَها، صَوْبُ السَّحابِ عُذُوبةً لا يُتْرَكُ، كانَتْ عطاءً مِنْ قَدِيرٍ مالِكٍ، يَسْقِي بِها الحُجّاجَ لَيْسَتْ تُقْرَكُ". وتدور على وصْف نظافتها وفائدة الشُّرْب منها على صِحّة الإنسان، فماؤها لا يؤذي شاربه، ولا يُخاف منه إذا أفرط المرء في شُرْبه ما يُخاف من مياه الآبار الأخرى[78]، وهذا يعني أن يد الزمان لا تمتد إليه بتكديره أو تجميع الأوساخ فيه ما بقي هذا الماء فيها، كقولهم في وصْف "زَمْزم": "لَيْسَ يُخافُ مِنْهُ شَيْءٌ ما عَمَرْ"، وقولهم في وصْف ماء "شُفَيّة" إنه ماء صاف لم تلْقَ فيه من الأوساخ ما يفسد طعمه ويغيّر لونه، فماؤها "لَيْسَ... بِطَرْقٍ أجْنِ".

وكان من الأساليب التي اتّبعها العرب في امتداح مياه آبارهم أن نوّهوا في أناشيدهم بحداثة استخراجهم مياه آبارهم، تنويهاً يدل أيضاً على نظافتها وطيب مذاقها، وذلك على عكس لو كانت هذه المياه قديمة فإنها تكون كَدِرة سيِّئة الطعم، غير مستساغة المذاق، مستفيدين في الإشادة بها من أسلوب التشبيه مع النفي في سياق وْصفهم لها، كقولهم في وصْف مياه "أم أحْراد": "نَسْقِي الحَجِيجَ... دَماً عَبِيطاً لَيْسَ مِنْ أعْوادِ"، وقولهم في وصْف مياه الـ"سنْبُلَة" أن هذا الوصف هو من طبيعتها على ما جرى في قول القائل: "تَسْقِي عَبِيطاً عِنْدَها كاليَعْمَلَةْ".

وعبّر العرب عن امتداح مياه آبارهم بالعذوبة بأن وصفوا طريقة شُرْب الحجيج منها، فهم يشربون من مياه "سَجْلَة" "زُغْلَة فَزُغْلَة"، أي جَرْعة فجَرْعة بقَصْد التلذّذ بشُرْبها؛ كقول قُصَي بمن كِلاب وخالدة بنت هاشم فيها: "تَرْوِي الحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةْ". ووصفوا وقت الشُّرْب منها كما ذكروا في وصْف مياه "العَجُول" أن الحَجيج يشربون منها عند العَشِيّ، للدلالة على استطابة مذاقها، وحاجتهم إلى الشعور بنداوتها في هذا الوقت بعد أن عانوا من حرّ النهار ما عانوا، فقالوا: "تَرْوَى عَلَى العَجُولِ ثُمَّ نَنْطَلِقْ... بِالشِّبْعِ للنّاسِ وَرِيٍّ مُغْتَبَقْ".

ومن تمام وصْفِهم لمياه آبارهم أنْ وَصَفوا تُرْبَتَها، فقد حَفَروا بعض آبارهم في أراضٍ طيّبة التُّرْبة ليست مالحة، وتلك ميزة لها تجعلها صالحة للشُّرْب منها، مناسبة لإنبات الأشجار والنباتات فيها، في أماكن منبسطة ليَسْهُل الوصول إليها، ويَسْهُل استعمالها؛ من ذلك ما ورد في رجز خالدة بنت هاشم تذكر فيه أن "سَجْلة" حُفِرتْ في ديارهم، وأن حافر هذه البئر قد حَجَز بينها وبين داره بحجارة صلبة متراصفة ليضمن صفاء مائها، وذلك قولها تبيِّن مكان حَفْرها وصفته: "نَحْنُ حَفَرْنا يا لَقَوْمِ سَجْلَةْ، في دارِنا ذاتَ فُصُولٍ سَهْلَةْ، نابتةٌ فَوْقَ سِقائِها بَقْلَةْ"، وقولها تصف تربَتَها: "فِي تُرْبَةٍ ذاتِ عَذاةٍ سَهْلَةْ".

ومما يتصل بالحديث عن مكان حَفْر العرب آبارهم أنهم حدّدوا موضعها فيه، تحديداً يبدو أنه كان لاعتبارات معينة عندهم؛ إما لإرشاد الناس والحَجيج إليها وتسهيل وصولهم لمكانها من معرفتهم به، مختصرين بذلك عليهم متاعبهم ومعاناتهم في البحث عنها، وإما لأفضلية مياه هذه الآبار على غيرها من مياه الآبار الأخرى المنتشرة بين القبائل في العصر الجاهلي في احتفاظها ببرودتها، خاصة إذا كانت البئر بجانب جبل معروف يسمَّى "المُسْتَنْذَر" وموقعه عند خَطْم الخَنْدَمة جبل على فم شِعْب أبي طالب[79]، وذلك كقول صَفِيَّة بنت عبدالمطلب في "بَذَّر": "نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرْ، بِجانبِ المُسْتَنْذَرْ"، أو كانت البئر على مكان مرتفع كقول شاعر بني جُمَح في الـ"سُّنْبُلَة": "نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَهْ... ثُمّ تَرَكْناها بِرَأْسِ القُنْبُلَةْ"[80].

وأضاف العرب إلى أساليب امتداحهم مياه آبارهم صوراً من الفخر تتسق مع هذه الأساليب في الوصول إلى غاية واحدة هي استقطاب العدد الأكبر من الناس والحَجيج إليها، ولذلك تجدهم في سبيل تحقيق ذلك يفخرون في أناشيدهم أنهم يسقون الناس دون أجْر، ويدل هذا التصرُّف منهم على محاولتهم مراعاة الأحوال المعيشية للناس والحَجيج في التخفيف من النفقات المالية عنهم، بعكس مَنْ كان يأخذ الأجْر على بئره من بعض الناس[81]، وذلك كقول صَفيّة بنت عبدالمطلب في "بذَّر": "تَسْقِي بِغَيْرِ الجَعْلِ لمَّا نَفْخَرْ". بل إنهم كانوا يبادرون إلى سِقاية الناس قبل أن يسألهم الناس السَّقْي من آبارهم، كقول شاعر بني جُمَح في الـ"سُّنْبُلَة": "نَحْنُ سَقَيْنا الناسَ قَبْلَ المَسْأَلَةْ".

وكان من صور الفخر التي أضافوها إلى إشادتهم بمياه آبارهم التغنِّي بأمجادهم، فقد رأى عبد شمس بن عبد مَناف أن تمام المَجْد لقبيلته يقوم على حَفْره "خُمّاً ورُمّاً"؛ يقول: "حَفَرْتُ خُمّاً وَحَفَرْتُ رُمّا، حَتّى أَرَى المَجْدَ لَنا قَدْ تَمّا". وكذلك التغنّي بقوّتهم التي منحتهم شجاعة في رَدْع مَنْ كان مخاصماً لهم، أو كان ممتنعاً عليهم، وربما كان ظالماً لهم؛ كقول أمية بن عبد شمس في "الجَفْر": "حَفَرْتُ جَفْراً وَدَفَنْتُ خُمّا... ثُمَّ قَمَعْنا الأَبْلَحَ الغِشَمَّا". والتغنّي بقوّتهم التي منحتهم تحدّياً في مواجهة مَنْ حال دون حَفْرهم البئر كما حصل مع عبدالمطلب في حَفْره "زَمْزَم" ومعارضة قُرَيْش له في حَفْرها أول الأمر[82]، وذلك قوله: "أَعْطَى بِلا شُحٍّ ولا مُشاحِحْ، سُقْياً عَلى رَغْمِ العَدُوِّ الكاشِحْ"، وقوله من قبل في "الرَّوا"[83]: "أُعْطِيتَها على رَغْمِ أَنْفِ العِدا".

على أن أعلى صور الفخر التي ضمّنها العرب أناشيدهم الإفصاح عن غايتهم من حَفْرهم الآبار سِقاية الناس والحَجيج منها، وهي غاية تتردّد في أناشيدهم المتعدِّدة، بحيث لا يكاد يخلو نشيد منها من ذِكْرها فيه، وإن كان عدم ذِكْرها فيه[84] مفهوماً ضمناً أنها حُفِرتْ لهذه الغاية كما نجد في: "أمّ أحْراد، وبَذَّر، والجَفْر (الحَفْر)، وزَمْزَم، وسَجْلَة، وسُنْبُلَة، والطَّوِيّ، والعَجُول، والغَمْر".

ويحتاج التباهي بهذه الغاية في منافسة القبائل بعضها بعضاً إلى أمرين، الأمر الأول: فَخْر حافر البئر بحَفْره بئره واستخراجه لها، ولذلك تكثر في هذه الأناشيد المفردات التي تدل على هذا النوع من الفخر على المستوى الفردي، كقول هاشم بن عبد مَناف: "أَنْبَطْتُ بَذَّراً"، وقول أمية بن عبد شمس: "أنا حَفَرْتُ... الجَفْرا"، وقوله في رواية أخرى: "حَفَرْتُ جَفْراً"، وقول عبد شمس بن عبد مَناف: "حَفَرْتُ خُمّاً وَحَفَرْتُ رُمّا". ويبلغ الفخر الفردي مداه إذا ذكر الفاخر اسمه في حَفْره بئره ليدل على أن المحاسن التي وُصِفَتْ بها مياه هذه البئر إنما تُعْزَى إليه، وأنها تحقّقت بفضله وجهده وعمله، وذلك كقول قُصَيّ بن كِلاب: "أنا قُصَيٌّ وحَفَرْتُ سَجْلَةْ". وإذا تجاوز الفاخر الفخر الفردي الذي يدل على الخصوصية بـ"أنا" إلى الفخر الذي يدل على العموم بـ"نحن" لفائدة التعظيم والتفخيم، وربما لأن الفاخر ببئر قبيلته على هذا النحو أراد أن يعلي من شأنها، وأن يشركها في الفخر معه، لأن الفرد يَحْرِص في ظل النظام القبلي على سمعة قبيلته، ويعمل لمصلحتها[85]، وذلك كقول أُمَيْمة بنت عُمَيْلَة: "نَحْنُ حَفَرْنا... أُمَّ أَحْرادْ"، وقول صَفِيّة بنت

عبدالمطلب: "نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرْ"، وقولها: "نَحْنُ حَفَرْنا... زَمْزَمْ"، وقول خالدة بنت هاشم: "نَحْنُ حَفَرْنا يا لَقَوْمِ سَجْلَةْ"، وقول القائل: "نَحْنُ حَفَرْنا الغَمْرْ". ويعلو الفخر الفردي قيمة في أناشيد الآبار إذا استخدم الفاخر فيه أسلوب الإضافة الذي يدل على خصوصية ارتباطه ببئره، كقول عبد شمس بن عبد مَناف في "الطَّوِيّ": "ولأَفْخَرَنَّ بِأنّ بِئْرِي... لا تُباعُ فَتُمْلَكُ"، وإذا وظّف الفاخر– في فخره – أسلوب الإضافة للإشادة بأصل حافر البئر، معترفاً بفضله بذِكْر اسمه فيه، وهو يدلّ على تجديد حَفْره له كقول صَفِية بنت عبدالمطلب حين حَفَر عبدالمطلب "زَمْزَم": "نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ زَمْزَمْ، سُقْيا الخَلِيلِ وابْنِهِ المُكَرَّمْ".

وأما الأمر الثاني: فلأن هذه الأغاني كانت تنشد عند حَفْر الآبار[86]، كان العربي يحاول التغنّي بها بأغانٍ موزونة[87]، إذ كان يعتمد على سماع ما يقول، ومن هنا اعتنى بقافية هذه الأناشيد اعتناءً ساعده على التغنّي بها[88]، على ما هو موجود في النصوص التي بين أيدينا؛ فقد ساعد اختياره لقافية ما على اختيار الكلمة المقابلة لمسمّى بئره، المطابقة لنغمتها من حيث الوزن الصرفي والعروضي، على نحو ما نجد في قولهم: "الحَفِيرا، غَزِيرا"، و" رُمّا، ثَمّا"، و"الرَّوا، العَدا"، و"زَمْزَمْ، تَنْدَمْ"، و"غَمّا، خُمًّا"، و"سَجْلَةْ، زُغْلَةْ"، و"سَجْلَةْ، سَهْلَةْ"، و"سُنْبُلَةْ، أُنْزُلَةْ". كما ساعده على اختيار كلمتين متطابقتين أيضاً في الوزن الصرفي والعروضي يصف بهما مياه بئره إذا تجاهل الفاخر ذِكْر اسم بئره في نهاية أحد الشطرين، كما في قولهم: "قَلاَّسْ، للنّاسْ"، و"رَغَدا، حُتُدا"، و"المُزْنِ، أجْنِ"، و"لِلْحَجِيجِ، ثَجِيجِ". وقد يكون اختياره لبعض الألفاظ المتساوية في الوزن الصرفي والعروضي في قلب الأشطار لتكون هذه الألفاظ وسيلة أخرى تساعده على التغني بأغاني (أناشيد) الآبار، كما في قول هاشم بن عبد مَناف: "أنْبَطْتُ، وجَعَلْتُ" في وصْف بئره "بذَّر": "أنْبَطْتُ بذراً بماءٍ قَلاَّسْ، جَعَلْتُ ماءَها بلاغاً للنَّاسْ"، وقول أمية بن عبد شمس: "هَمَمْتُ، وحَفَرْتُ، وَدَفَنْتُ" و"هَمّاً، وجَفْراً" و"فَرَجْنا، وقَمَعْنا، وتَرَكْنا" في وصف بئره "الجَفْر": "هَمَمْتُ هَمّاً أنْ أُمُوتَ غَمّا، حَفَرْتُ جَفْراً وَدَفَنْتُ خُمّا... ثُمَّ فَرَجْنا الهَمَّ بعدَ ما أهَمّا، ثُمَّ قَمَعْنا الأبْلَحَ الغِشَمَّا، حَتَّى تَرَكْنا سَمْعَهُ أصَمّا"، وقول شاعر بني جُمَح: "حَفَرْنا، وسَقَيْنا" في وصف "سُنْبُلَة": "نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةْ... نَحْنُ سَقَيْنا الناسَ قَبْلَ المَسْأَلَةْ"، وقول عبد شمس بن عبد مَناف: " فلأَسْخَرَنَّ، ولأَفْخَرَنَّ" في وصْف بئره "الطَّوِيّ": "فلأَسْخَرَنَّ مِنَ التَّتارِ وَذِكْرُها... ولأَفْخَرَنَّ بِأنّ بِئْرِي ذِكْرُها...". ولجؤوا إلى تكرار بعض الألفاظ وبعض التراكيب على أنها وسيلة من الوسائل التي ساعدتهم على التغني بأناشيدهم، كقول عبد شمس بن عبد مَناف في تكرار كلمة "حَفَرْتُ" في وصفه "رُمّاً": "حَفَرْتُ خُمّاً وَحَفَرْتُ رُمّا"، وقول صَفِيّة بنت عبدالمطلب في تكرار كلمة "تَسْقِي" في وصْفها "بذَّر": "ونَحْنُ نَسْقِي عِنْدَ كُلِّ صَرْصَرْ... نَسْقِي بِغَيْرِ الجَعْلِ لمَّا نَفْخَرْ"، وقول أمية بن عبد شمس في تكرار كلمة "الحق" في وصف بئره "الجَفْر": "ونَعْرِفُ الحَقَّ إذا أَلَمّا... والحَقُّ لا بُدَّ بِأْن يُحَمّا"، وقول قُصَيّ بن كِلاب وخالدة بنت هاشم في تكرارهما كلمة: "زُغْلَة" في وصفهما "سَجْلة": "تَرْوِي الحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةً"، وقول أمية بن عبد شمس في تكرار التركيب: "لا بُدَّ بِأنْ" في وصف بئره "الجَفْر": "والجَفْرُ لا بُدَّ بِأنْ تَطَمّا... والحَقُّ لا بُدَّ بِأْن يُحَمّا".

ولكن لا يعني هذا أن أغانيهم في حَفْرهم آبارهم جاءت مستقيمة الوزن تجري على بحور الخليل، فهي ليست أكثر من أغانٍ شعبية ربما استقام الوزن في بعض أشطارها من قبيل المصادفة، وربما كانت هذه العيوب العروضية فيها تمثل مرحلة من المراحل الأولى التي نشأت فيها هذه الأغاني، بحيث لم ترتقِ الأغاني فيها إلى مستوى النضج الفني[89].

فإذا تجاوزنا أساليب العرب وصِيغهم في امتداح مياه آبارهم، إلى نواحٍ علمية نستظهرها في أغاني (أناشيد) آبارهم، وجدناهم قد قدّموا لنا فيها مفاهيم أساسية في المياه الجوفية والآبار، وسواء أكان تقديمهم هذه المفاهيم نابعاً من حَدْسهم أو من وعَيْهم وعِلْمهم بها، فإنها تنبئ عن معرفة العرب بها منذ أقدم العصور، وبذلك يكون لهم فضْل السَّبْق في وضْع النواة الأولى لعلم المياه الجوفية بما قدّموا لنا من ألفاظ لغوية تتصل فيه؛ فمن هذه الألفاظ: الألفاظ التي وَصَفت الماء في البئر وفقاً لبعده عن سطح الأرض، فإذا كانت المياه قريبة من سطح الأرض فمعنى ذلك أن المياه قليلة في البئر، وهذا يدل على عدم عمق البئر في الأرض، كقولهم في وصْف المياه: "النَّزُور" كقول أُمَيْمة بنتُ عُمَيْلَة في "أمّ أحراد": "لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّزُورِ الجَمادْ"، و"المُمْقَر" في قول صفية بنت عبدالمطلب في "بذَّر": "الطَّيِّبَ العَذْبَ الذي لَمْ يُمْقَرْ"، و"بئر ذَمّة" كما قيل لعبدالمطلب في وصْف "زَمْزم": "لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ"، وإن كانت بعض هذه الأوصاف قد وردتْ بصيغة النفي في أغاني آبارهم. وقد يعبرون عن قلة المياه في آبارهم بوصْفها أنها ليستْ عميقة كقولهم: "الرَّهاد" كما في قول أُمَيْمة بنتُ عُمَيْلَة في قولها لصَفِية بنت عبدالمطلب: "أتَفْخَرِين بِبَذْرِكِ الرَّهادِ؟".

فإذا وصفوا البئر بكثرة المياه والامتلاء فمعنى ذلك أن آبارهم عميقة في باطن الأرض، كقولهم في وصْف الماء: "قلاّس" كقول هاشم بن عبد مَناف في "بذَّر": "أنْبَطْتُ بذراً بماءٍ قَلاَّسْ"، و"غزير" كقول شاعر بني تَيْم في "الحَفِير": "بَحْراً يَجِيشُ ماؤُه غَزِيرا"، و"الرَّوي" كما قيل لعبدالمطلب في "زَمْزَم": "ثُمَّ ادْعُ بِالماءِ الرَّوِيِّ غَيْرِ الكَدِرْ"، و"طمَّ الماءُ" كما في قول

أمية بن عبد شمس في "الجَفْر": "والجَفْرُ لا بُدَّ بِأنْ تَطَمّا". أو سمّوا آبارهم تسميات تدل على هذا المعنى لعمقها في الأرض، كما في تسميتهم: "زَمْزَم" و"الرَّوا" وسَجْلَة" و"سُنْبُلة" و"الغَمْر" بهذه الأسماء.

وربما دلّوا على عُمْق آبارهم بأن ذكروا ما يدل على أن مياهها لا تَنْضُب مع الزمن، فهي لا تتأثر بعوامل المناخ، وهذا يدل على مخزون مائي كبير في البئر، كما قيل في وصْف "زَمْزَم": "لا تَنْزِفُ" أي لا يفنى ماؤها على كثرة الاستقاء منها كما في قولهم لعبدالمطلب: "لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّ"، و"ما عَمَر" هذا الماء فيها كما قيل في وصْفها أيضاً: "لَيْسَ يُخافُ مِنْهُ شَيْءٌ ما عَمَرْ"، وأنه ماء "حُتُد" أي لا ينقطع كما في قول خُوَيْلِد بن أسد بن عبدالعُزَّى لعبدالمطلب: "وَنَثَلْتَ عادِيّةً حُتُدا".

كما وضع العرب مفاهيم تدل على المقطع العرضي للبئر في باطن الأرض من حيث اتساع قَعْرها، فسموا بئرهم "الجَفْر" لذلك، وسمّوها "الحَفِير" للدلالة على أنها وُسِّعَتْ فوق قَدْرها، وقد يكون اتّساعها ممتدّاً من فوّهتها إلى أسفلها.

وذكروا ألفاظاً تدل على حركة الماء في البئر أثناء المَتْح أو ضَخّ الماء منها، وهذه الحركة دليل على الاستهلاك البشري لها من قِبَل الناس والحجيج، كقولهم في وصْف البئر: "تَثُجُّ" أي تصب الماء الكثير كما في قول الشاعر في "الغَمْر": "تَثُجُّ ماءً أيَّما ثَجِيجِ"، و"يَجِيشُ" أي يفور ويزخر كما في قول شاعر بني تَيْم في "الحَفِير:"بَحْراً يَجِيشُ ماؤُه غَزِيرا"، و"يَسيح" بمعنى يجري كما في قول أُمَيْمة بنت عُمَيْلة في "أمّ أحراد": "ثُمَّ يَسيحُ الماءُ في الجَمادِ"، وكما قالوا في "زَمْزَم" إنها سميت كذلك: "لتَزَمْزُمِ الماءِ فيها، وهي حركته"[90]. وأما "بذَّر" فكانت تسميتها بهذا الاسم لأن الماء كان يخرج منها متفرّقاً من غير مكان، وهذا يشير إلى أن ثمة فتحات أو قنوات تتصل بها كان الماء يخرج منها، ويتمّ تغذيتها به من خلالها، ودخول الماء وخروجه منها هو حركته فيها. فإذا توقّف ضخّ المياه منها، ونَضَبَت الآبار قالوا في وصْفها: "الجَمَاد" كما في قول أُمَيْمة بنت عُمَيْلة تصف "أمّ أحراد": "لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّزُورِ الجَمادْ".

كما وضعوا ألفاظاً عبّروا فيها عن عنايتهم ببناء آبارهم محافظة على صفاء مياهها بأن رصفوها بالحجارة، كما قالوا في تسمية البئر: "الطَّوِيّ"، وكما وصَفَتْ خالدة بنت هاشم "سَجْلَة" أن حافر البئر حجز بينها وبين داره بحجارة صُلْبة متراصفة، وذلك قولها: "نَحْنُ حَفَرْنا يا لَقَوْمِ سَجْلَةْ، في دارِنا ذاتَ فُصُولٍ سَهْلَةْ".

ووضعوا ألفاظاً عبّروا فيها عن تلوث مياه آبارهم وتغيّر لونها وفساد طَعْمها بما يدل على عدم صلاحيتها للاستهلاك الإنساني، كقولهم في وصف الماء "طَرْق أجن"، وإن كان هذا التعبير قد ورد بصيغة النفي في قول الحُوَيْرِث بن أسد في "شُفَيّة" إذ يقول: "ولَيْسَ ماؤُها بِطَرْقٍ أجْنِ".

ووضعوا ألفاظاً عبّروا فيها عن إصلاح آبارهم وجَمْع مياهها وإعادة بنائها، فسمّوا بئرهم "رُمّاً" لذلك، وربما احتملت "زَمْزَم" معنى آخر يتجاوز معنى الكثرة إلى معنى أُخِذ من قولنا: زَمّ الشيءَ بمعنى جَمَعه وشدَّه، ولذلك قيل في تعليل تسمية "زَمْزَم" بهذا الاسم "لأنها زُمّت بالتراب؛ لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً"، ولهذا التعليل ملحظ علمي إذ "لو تُرِكَتْ (هكذا) لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء"[91].

وميّزوا في ألفاظ أخرى بين استظهارهم لبئر كانت قد اندفنت أخرج الحافر ترابها فقالوا: "نَثَلْت"، كما في قول خُوَيْلِد بن أسد بن عبدالعُزَّى لعبدالمطلب في "زَمْزَم": "وَنَثَلْتَ عادِيّةً حُتُدا"، وبين أن يأخذ في حَفْرها إلى أن يبلغ الماء؛ فيقول: "أنْبَطْتُ"؛ كما في قول هاشم بن عبد مَناف في "بذَّر": "أنْبَطْتُ بذراً بماءٍ قَلاَّسْ".

إن أغاني (أناشيد) الآبار تحتوي على ألفاظ لغوية ذات قيمة علمية في موضوع الآبار وحَفْرها، ومن المتوقّع أنها تحمل في أشطارها ألفاظاً أخرى- غير ما تقدم منها – تتعلق بأدوات الحَفْر التي استخدمها العربي في حَفْره آباره، وأدوات استخراج المياه منها، والمزيد من أسمائها، وأوصاف مياهها، والحديث عن أجزائها... ولكن هذه الثروة اللغوية ذات الفائدة العلمية ما زالت مطوية في تراثنا الذي لم يعثر عليه كله بعد.

أغاني (أناشيد الآبار):

1- **أُمّ أحْرادٍ**[92]:

قالت أُمَيْمةُ بنتُ عُمَيْلَة بن السبّاق بن عبدالدّار امرأة العوّام بن خُوَيْلد لمّا حَفَر بنو عبدالدّار أمّ أحْراد [93]:

نَحْنُ حَفَرْنا البَحْرَ أُمَّ أحْرادْ

لَيْسَتْ كَبَذَّرَ النَّزُورِ الجَمادْ[94]

وقيل: قالتْ تجيبُ صفيّة بنت عبدالمطلب امرأة العوّام بن خُوَيْلد كذلك لمّا فخرتْ عليها ببَذَّر[95]:

نَحْنُ حَفَرْنا البِئْرَ أُمَّ أحْرادِ

نَسْقِي الحَجِيجَ كَدَمِ الفِصادِ

دَماً عَبِيطاً لَيْسَ مِنْ أعْوادِ

ثُمَّ يَسيحُ الماءُ في الجَمادِ

سَيْحَ سَحابٍ سالَ في رَمادِ

أتَفْخَرِين بِبَذْرِكِ الرَّهادِ؟[96]

2- **بَذَّر**[97]:

قالت صَفِيّة بنت عبدالمطلب تجيب ضَرَّتها أُمَيْمَة بنت عُمِيلَة لمّا حفر بنو عبدالدار أمّ أحْراد[98]:

نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرْ
بِجـــانبِ المُسْتَنْـــذَرْ
تَرْوِي الحَجِيجَ الأكْبَرْ
مـــنْ مُقْبِـلٍ ومُدْبِـرْ
وأمُّ أحْرادَ بِشَرّْ
فِيهـــا الجَـــرادُ والذَّرْ
وقَذَرٌ لا يُذْكَرْ
وأنْتُمُ أحْرادُكُمْ لَمْ تُذْكَرْ[99]

وقيل: قالت صَفيَّة بنت عبدالمطلب بعد ذلك بزمان تفاخر أُمَيْمة بنت عُمَيْلة[100]:

نَحْنُ حَفَرْنا بَذَّرَ بِجانبِ المُسْتَنْذَرْ
الطَّيِّبَ العَذْبَ الذي لَمْ يُمْقَـــرْ
كانَتْ بَلاغاً للحَجِيجِ الأكْبَرْ
وأُمُّ أحْرادِكُـــمُ لَمْ تُذْكَـــــرْ
ونَحْنُ نَسْقِي عِنْدَ كُلِّ صَرْصَرْ
مِثْلَ سَحابٍ ماؤُهُ لَـــمْ يُقْصَـــرْ
أو كغَزِيرِ المُزْنِ عِنْدَ الأحْجَرْ
نَسْقِي بِغَيْرِ الجَعْلِ لمَّا نَفْخَرْ[101]

وقال هاشم بن عبد مَناف حين حفر بَذَّر[102]:

أنْبَطْتُ بذراً بماءٍ قَلاَّسْ
جَعَلْتُ ماءَها بلاغاً للنَّاسْ[103]

3- الجَفْر[104] **– الحَفْر**[105]:

قال أمية بن عبد شمس حين حَفَر الجَفْر[106]:

أنا حَفَرْتُ لِلْحَجِيجِ الجَفْرا[107]

وقيل: قال أمية بن عبد شمس حين حفر بئره الجَفْر لنفسه[108]:

هَمَمْتُ هَمّاً أنْ أَمُوتَ غَمّا
حَفَرْتُ جَفْراً وَدَفَنْتُ خُمّا
والجَفْرُ لا بُدَّ بِأنْ تَطَمّا
حَتَّى يُرَى الأمْرُ لنا خِضَمّا
ونَعْرِفُ الحَقَّ إذا أَلَمّا
نَحْنُ وَلِيْناكُمْ فَلَـــمْ نُذَمّـــا
ثُمَّ فَرَجْنا الهَمَّ بعدَ ما أهَمّا
ثُمَّ قَمَعْنـا الأبْلَحَ الغِشَمَّـا
حَتَّى تَرَكْنا سَمْعَهُ أصَمّا
والحَقُّ لا بُدَّ بِـأن يُحَمّـا
حَتَّى يَكُونَ أمْرُنا أَعَمّا
لأنَّ قَوْمِي فَرَجُوا المُهِمّا[109]

4- الحَفِير[110]:

قال شاعر بني تَيْمٍ فيها[111]:

اللهُ سَخَّرَ لَنا الحَفِيرا
بَحْراً يَجِيشُ ماؤُه غَزِيرا[112]

5- خُمّ[113]:

6- ورُمّ[114]:

قال عبد شمس بن عبد مَناف فيهما[115]:

حَفَرْتُ خُمّاً وَحَفَرْتُ رُمّا
حَتّى أَرَى المَجْدَ لَنا قَدْ تَمّا[116]

7- زَمْزم: أسماؤها وما قيل فيها[117]:

قيل: أُرِيَ عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مَناف في المنام أن احْفِر تُكْتَم، فقيل له[118]:

احفِـــــرْ تُكْـــــتَمْ بَـــــيْنَ فَـــــرْثٍ ودَمْ
عِنْـــدِ الأنْصـــابِ الحُمْـــرْ فـــي قَرْيَـــةِ النَّمْـــلْ[119]

وقيل: أُرِيَ عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مَناف في المنام أن احْفِر الرَّوا، فقيل له[120]:

احْفِرِ الرَّوا
أُعْطِيتَها على رَغْمِ أنْفِ العِدا[121]

قال ابن إسحاق: بينا عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مَناف نائماً في الحِجْر، عند الكعبة، أُتي فأُمِر بحفر زَمْزَم، فقيل له[122]:

احْفِرْ زَمْزَمْ
إنَّـــكَ إنْ حَفَرْتَها لَـــمْ تَنْـــدَمْ
وهي تُراثٌ مِنْ أبِيكَ الأعْظَمْ
وَجَدِّكَ إبْراهيمَ عِنْدَ الرُّكْنِ والحَرَمْ
لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمّْ
تَسْقِـــي الحَجِيـــجَ الأعْظَـــمْ
مِثْلَ نَعامٍ جافِلٍ لَمْ يُقْسَمْ
يُنْـــذِرُ فِيهـــا نـــاذِرٌ لِمُنْعِـــمْ
تَكُونُ مِيراثاً وعَقْداً مُحْكَمْ
لَيْسَتْ كَبَعْضِ مـــا قَدْ تَعْلَمْ
وهي بَيْنَ الفَرْثِ والدَّمْ
عِنْدَ نُقْـــرةِ الغُـــرابِ الأعْصَـــمْعِنْـــدَ قَرْيَـــــةِ النَّمْـــــلْ[123]

وقال ابن إسحاق: قيل لعبدالمطلب بن هاشم حين أُمِر بِحَفْر زَمْزم[124]:

ثُمَّ ادْعُ بِالماءِ الرَّوِيِّ غَيْرِ الكَدِرْ
يَسْقِي حَجِيجَ اللهِ في كُلِّ مَبَرّْ
لَيْسَ يُخافُ مِنْهُ شَيْءٌ ما عَمَرْ[125]

وقال عبدالمطلب بن هاشم حين جدّد حفر زَمْزَم، وكان جعل لها حَوْضَيْن حوضاً للشرب وحوضاً للوضوء[126]:

اللَّهُمَّ إنِّي لا أُحِلُّها لِمُغْتَسِلْ
وهي لِشارِبِها حِلٌّ وبِلْ[127]

وقال الفاكهي: "لما حُفِرت زَمْزَم وأدرك فيها عبدالمطلب ما أدرك، وجَدَت قريش في نفسها بما أُعطي عبدالمطلب، فلقيه خُوَيْلِد[128] بن أسد بن عبدالعُزَّى، فقال: يا ابن سَلْمَى[129]:

لَقَدْ سُقِيتَ ماءً رَغَدا
وَنِلْتَ عادِيّةً حُتُدا[130]

قال (عبدالمطلب): يا ابن أسد أَمَا أنك تُشرك في فضلها[131]:

والله لا يُساعِفُنِي أحَدٌ عليها بِبِرّْ
ولا يَقُومُ مَعِي بِأَزْرِالاّ بَذَلْتُ لَهُ خَيْرَ الصِّهْرْ"[132]

وقال المسعودي: "وكان عبدالمطلب (بن هاشم بن عبد مَناف)... أول من سَقَى الماء بمكة عَذْباً... وفي ذلك يقول عبدالمطلب[133]:

أَعْطَى بِلا شُحٍّ ولا مُشاحِحْ
سُقْياً عَلى رَغْمِ العَدُوِّ الكاشِحْ"[134]

وقالت صفيَّة بنت عبدالمطلب حين حَفَر عبدالمطلب زَمْزَم[135]:

نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ زَمْزَمْ
سُقْيا الخَلِيلِ وابْنِهِ المُكَرَّمْ
هَزْمَةُ جِبْرِيلَ التي لَمْ تُذَمَّمْ
شِفاءُ سُقْمٍ وطَعامُ مُطْعِمْ[136]

8- سَجْلة[137]:

قال قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة حين حفر سَجْلة[138]:

أنا قُصَيٌّ وحَفَرْتُ سَجْلَةْ
تَرْوِي الحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةْ[139]

وقيل: بل حَفَرها هاشِم (بن عبد مَناف بن قُصَيّ)، ووهبها أسد بن هاشم لعَدِيّ بن نَوْفَل، وفي ذلك تقول خالِدَةُ بنتُ هاشم[140]:

نَحْنُ وَهَبْنا لِعَدِيٍّ سَجْلَةْ
فِي تُرْبَةٍ ذاتِ عَذاةٍ سَهْلَةْتَرْوِي الحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةْ[141]

وقال الفاكهي في رواية عن ابن إسحاق: "قال: وقد قالت خالدة بنتُ هاشم تذكر سَجْلَة[142]:

نَحْنُ حَفَرْنا يا لَقَوْمِ سَجْلَةْ
في دارِنا ذاتَ فُصُولٍ سَهْلَةْ
نابتةٌ فَوْقَ سِقائِها بَقْلَةْ
تَسْقِي الحَجِيجَ زُغْلَةً فَزُغْلَةْ"[143]

9- سُقَيَة[144] – **شُفَيَة**[145]:

قال الحُوَيْرِث بن أسد في شُفَيَة[146]:

ماءُ شُفَيّةٍ كَصَوْبِ المُزْنِ
ولَيْسَ ماؤُها بِطَرْقٍ أجْنِ[147]

10- سُنْبُلة[148]:

قال شاعر بني جُمَح يمتدح سُنْبُلَة بئر خَلَف بن وَهْب[149]:

نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةْ
صَوْبَ سَحابٍ ذُو الجَلالِ أنْزَلَهْ
ثُمّ تَرَكْناها بِرَأْسِ القُنْبُلَةْ
تَصُبُّ ماءً مِثْلَ ماءِ المَعْبَلَةْ
لَيْسَتْ كَبَذَّرَ لا ولا كالحَرْمَلَةْ
تَسْقِي عَبِيطاً عِنْدَها كاليَعْمَلَةْنَحْنُ سَقَيْنا الناسَ قَبْلَ المَسْأَلَةْ[150]

11- الطَّوِيّ[151]:

قالت سُبَيْعة بنتُ عبد شمس في الطَّوِيّ[152]:

إنَّ الطَّوِيَّ إذا ذَكَرْتُمْ ماءَها
صَوْبُ السَّماءِ عُذُوبةً وصفاءَ[153]

وقال عبد شمس بن عبد مَناف حين حَفَر بئره الطَّوِيّ[154]:

إنّ الطَّوِيَّ إذا ذَكَرْتُمْ ماءَها
صَوْبُ السَّحابِ عُذُوبةً لا يُتْرَكُ
كانَتْ عطاءً مِنْ قَدِيرٍ مالِكٍ
يَسْقِي بِها الحُجّاجَ لَيْسَتْ تُفْرَكُ
فلأَسْخَرَنَّ مِنَ التَّتارِ وَذِكْرُها
بِمُلُوحــةٍ يُسْقُونَ مِنْها الهُلّكُ
ولأَفْخَرَنَّ بِأنّ بِئْرِي ذِكْرُها
أكنافُ قَيْصَرَ لا تُباعُ فَتُمْلَكُ[155]

12- العَجُول[156]:

يقول فيها بعض رجاز الحاجّ[157]:

نَرْوَى عَلَى العَجُولِ ثُمَّ نَنْطَلِقْ
قَبْلَ صُدورِ الحاجِّ مِنْ كُلِّ أُفُقْ
إنَّ قُصَيّاً قَدْ وَفَى وَقَدْ صَدَقْ
بِالشِّبْعِ للنّاسِ وَرِيٍّ مُغْتَبَقْ[158]

13- الغَمْر[159]:

قال بعضهم في الغَمْر[160]:

نَحْنُ حَفَرْنا الغَمْرَ لِلْحَجِيجِ
تَثُجُّ ماءً أيَّما ثَجِيجِ[161]

الخاتمة

توصل الباحث من جَمْعه أغاني (أناشيد) الآبار في العصر الجاهلي، والتعليق عليها إلى مجموعة من النتائج يوردها على النحو الآتي:

– كان جَمْع أغاني (أناشيد) الآبار ضرورة لتعريف الباحث

أولاً، والقارئ في العصر الحديث ثانياً تراثه العربي الذي تُعَدّ هذه الأغاني جزءاً حيوياً منه يتّصل بنواحي الحياة الجاهلية المختلفة، اتصالاً كان له دور في التأثير على بعض أوضاعها.

– فتح مجموع هذه الأغاني – على قلّته– المجال للباحثين للبحث عن الكتب التي أُلِّفتْ فيها، أو البحث عن مجموعها في خزائن المكتبات في العالم.

– إن العثور على الكتب التي أُلِّفت في أغاني الآبار، أو العثور على مجموعها يزوّد الباحثين بمادة وفيرة لدراستها دراسة علمية في موضوعات معينة يختارونها لأبحاثهم.

– إن دراسة أغاني الآبار دراسة علمية توصل الباحث – أي باحث – إلى أسباب اهتمام القدماء بها بناء على الأخبار التي زوّدتنا بها روايات الرواة والإخباريون العرب.

– إن اهتمام القدماء بأغاني الآبار يكشف عن الدور الذي أدّته في حياة العرب في العصر الجاهلي، على المستوى الديني والسياسي، وعلى المستوى الاجتماعي، وعلى المستوى الاقتصادي.

– إن الدور الذي أدّته أغاني الآبار في حياة العرب كان مبنياً على الغاية التي من أجلها حَفَرتْ قريش آبارها، وهي سِقاية الناس والحَجيج لاستقطاب العدد الأكبر منهم إليها، فالغرض إذن ديني لغاية سياسية، ذلك أن قدوم الناس والحَجيج للاستقاء من آبارهم يعزّز قوتهم وسيادتهم، ويدفعهم إلى الاتصال بقبائلهم وإقامة صلات معهم، ويعود عليهم بالفائدة المالية التي تأتي إليهم من عوائد مياه أبارهم.

– إن تحقيق أهل مكة غايتهم من حَفْرهم آبارهم دفعهم إلى إظهار محاسن آبارهم ما أمكنهم ذلك من الأساليب الفنية واللغوية والبلاغية، والصيغ الأسلوبية، فاستخدموا من الأساليب الفنية أسلوب المدح وأسلوب الفخر، ومن الأساليب اللغوية والبلاغية أسلوب النفي والاستفهام والإضافة والمقارنة والذم، واستخدموا أسلوب التشبيه وانتزعوا صورهم من البيئة، وسمّوا آبارهم تسميات تدل على ما أرادوا وصْف مياهها به، واستخدموا ألفاظاً لغوية كثيرة في وصْفها للسبب نفسه.

– تدور أغلب أوصافهم في إظهارهم محاسن آبارهم على وصْفها بالفَيْض والامتلاء، ووصْف مياهها بالكثرة والغزارة، ومَدْح مذاقها بالطِّيب والعُذُوبة، ووصْف صلاحيتها للشُّرْب بالصَّفاء والنَّقاء، وذِكْر فائدتها في الشِّفاء من الداء، والإشادة بنظافتها وخلوّها من الأوساخ، ونَفْي الملوحة عن تُرْبتها، وتحديد مكان وجودها لتسهيل وصول الحَجِيج إليها، وغير ذلك من المعاني التي عالجها هذا البحث.

الهوامش

(1) ابن هشام، السيرة النبوية 142:2، وعلق ابن هشام عليه فقال: "هذا كلام وليس برجز"، وابن سعد، الطبقات الكبرى 185:1، والبخاري، صحيح البخاري 117:1، وهارون، تهذيب سيرة ابن هشام: 110. ورُوِي أن المسلمين والرسول (ﷺ) كانوا يقولون هذا الرجز وهم يحفرون الخندق وينقلون التراب على أكتافهم. ابن سعد، الطبقات الكبرى 191:3، والبخاري، صحيح البخاري 61:4، و42:5، و137، و96:9، ومسلم، صحيح مسلم: 1431–1432.

(2) هو علي بن أبي طالب. ابن هشام، السيرة النبوية 142:2.

(3) هو عمّار بن ياسر. ابن سعد، الطبقات الكبرى 190:3.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية 141:2، وهارون، تهذيب سيرة ابن هشام: 110.

(5) عبدالله بن رواحة، ديوانه: 141، وابن سعد، الطبقات الكبرى 54:2، والبخاري، صحيح البخاري 78:4–79، و140:5، ومسلم، صحيح مسلم: 1430–1431، وعلي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 173:6–174.

(6) ابن سعد، الطبقات الكبرى 117:1، وانظر أمر بناء قريش الكعبة في الجاهلية في الأزرقي، أخبار مكة 157:1–165.

(7) أبو عبيدة، أيام العرب قبل الإسلام 102:1–103 (دراسة البياتي)، والبياتي، مدخل إلى البدايات الشعرية عند العرب: 632، و634، وانظر الفريجات، الشعراء الجاهليون الأوائل: 30.

(8) وبذلك لا يدخل في هذا الموضوع الموضوعات التي ذكرها الباحثون في حديثهم عن أولية الشعر العربي، وهي: أناشيد الحرب، وتراتيل الأصنام، وأغاني ترقيص الأطفال. انظر "أبو عبيدة"، أيام العرب قبل الإسلام 102:1–103 (دراسة البياتي)، والبياتي، مدخل إلى البدايات الشعرية عند العرب: 631–632، و634، والفريجات، الشعراء الجاهليون الأوائل: 30.

(9) البِئْرُ: القَلِيبُ، أُنثى، والجمع أَبْآرٌ... ومِنَ العرب مَنْ يقول: آبارٌ، فإذا كُثِّرتْ، فهي البِئارُ، وهي في القلّة أَبْؤُرٌ. ابن منظور، لسان العرب: (بأر).

(10) بما في ذلك زَمْزَم، انظر ابن هشام، السيرة النبوية 158:1، والأزرقي، أخبار مكة 112:1، و113، و217:2، والفاكهي، أخبار مكة 19:2، و21، و23، و97:4، و99، و100، و104، و108، و109، و111، و112، والبكري، معجم ما

استعجم: 923، والسهيلي، الروض الأنف 172:1، وابن كثير، البداية والنهاية 246:2، والفاسي، شفاء الغرام 89:2، و90، ودلّو، جزيرة العرب قبل الإسلام: 646–647.

(11) وإنما كان يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم. ابن هشام، السيرة النبوية 158:1، والأزرقي، أخبار مكة 112:1، و214:2، و220–221، والفاكهي، أخبار مكة 9:2، و19، و104:4، و108، والبلاذري، أنساب الأشراف 50:1، والبلاذري، فتوح البلدان: 60، واليعقوبي، تاريخه 203:1، وسالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية: 351.

(12) دلّو، جزيرة العرب قبل الإسلام: 646.

(13) الفاكهي، أخبار مكة 109:4، و110.

(14) انظر أعدادها على سبيل المثال في ابن هشام، السيرة النبوية 156:1–158، والأزرقي، أخبار مكة 214:2–224، والفاكهي، أخبار مكة 96:4–114، والبلاذُري، فتوح البلدان: 60–63، والسُّهَيلي، الرَّوْض الأُنُف 172:1–175.

(15) البداية والنهاية 246:2.

(16) النهاية في غريب الحديث 146:3، وانظر ابن منظور، لسان العرب: (طوي).

(17) الطَّوِيُّ: البئرُ المَطْوِيَّة بالحجارة، مُذَكَّرٌ، فإن أُنِّثَ فَعَلى المعنى... وجمع الطَّوِيِّ البئرِ أطواءٌ... قال ابن الأثير: والطَّوِيُّ في الأصل صِفَةٌ فعيلٌ بمعنى مَفْعول، فلذلك جَمَعُوه على الأَطْواء... وإن كان قد انْتَقَلَ إلى باب الاسمية. ابن منظور، لسان العرب: (طوي).

(18) ذكر الطبري، تاريخه 511:1 أن بَدْر بن قُرَيْش الكِناني احتفر بمكة بَدْراً، وبه سُمِّيَت البئر التي تُدعَى بَدْراً، بَدْراً.

(19) شفاء الغرام 340:1. في النص عن الفاسي: "ثمانية"، والصواب ما أثبتّه لأن البئر مؤنث تخالف العدد.

(20) ربما لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواها من المياه، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. ابن كثير، البداية والنهاية 247:2.

(21) تاج العروس: (زمم)، وانظر ياقوت الحموي، معجم البلدان 166:3–167، وابن منظور، لسان العرب: (زمم).

(22) انظر ابن الأعرابي، كتاب البئر: 5 (مقدمة المحقق).

(23) الروض الأنف 175:1.

(24) معجم البلدان 136:1.

(25) المصدر السابق 430:1، وانظر الرواية نفسها في مرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (بذر).

(26) معجم البلدان 171:2. والرِّباع: جمع الرَّبْع وهو المَنْزِل ودار الإقامة.

(27) المصدر السابق 445:2.

(28) إن جميع مَنْ ذكرنا ممن حَفَر آبار مكة – في المجموع من أغاني (أناشيد) الآبار – إنما يعودون في نسبهم إلى قريش، وهذا أمر اختصّت به قريش. انظر ما ذكره ابن حَزْم، جمهرة أنساب العرب: 12–15، و464 عن ولد فِهر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة، وهم قريش لا قريش غيرهم، ولا يكون قريشي إلاّ منهم، ولا من ولد فِهر أحدٌ إلاّ قريشي، وما ذكره ص: 465 عن بني النضر بن كنانة وهم قريش، وذكر في ص:11 أن قريشاً سُمِّيتْ قريشاً بقريش بن بَدْر بن يَخلد بن النَّضْر بن كِنانة، وانظر حديثنا فيما مضى عن بَدْر بن قريش، وابن دريد، الاشتقاق: 9–32.

(29) ابن هشام، السيرة النبوية 156:1–158 (ذِكْر بئار قبائل قريش بمكة)، والأزرقي، أخبار مكة 214:2–223 (ذِكْر الآبار التي بمكة قبل زَمْزَم)، و223–224 (باب الآبار التي حُفِرت بعد زَمْزَم في الجاهلية)، والفاكهي، أخبار مكة 96:4–112 (الآبار التي كانت بمكة تُشْرَب مع زَمْزَم)، و112–114 (الآبار التي حُفِرت بعد زمزم في الجاهلية)، والبلاذري، فتوح البلدان: 60–63 (ذِكْر حفائر مكة)، والسهيلي، الروض الأنف 172:1–175 (بئار قبائل قريش)، والفاسي، شفاء الغرام 340:1–343 (ذِكْر الآبار التي بمكة وحرمها).

(30) معجم ما استعجم: 724–726.

(31) انظر ذلك في المجموع من أغاني (أناشيد) الآبار فيما يأتي، ويصدق هذا الأمر على البكري في معجم ما استعجم؛ فبعد أن تحدَّث عنها في رَسْم "سَجْلة" تحدَّث عن بعضها في رَسم كل واحدة منها. انظر ص: 118، و195، و235–236، و510، و702، و759، و805، و923، و1003.

(32) انظر اليعقوبي، تاريخه: 206، والبلاذري، أنساب الأشراف 51:1، والفاسي، شفاء الغرام 89:2–91، وهنا ذكر الفاسي بعضاً من هذه الآبار ومِن حافريها.

(33) ابن هشام، السيرة النبوية 158:1، والفاكهي، أخبار مكة 16:2، و19، و109:4، وابن كثير، البداية والنهاية 246:2–247.

(34) انظر ابن إسحاق، السير النبوية 77:1–80، وابن إسحاق، السير والمغازي: 23–26، وابن هشام، السيرة النبوية 116:1–117، و150–155، والأزرقي، أخبار مكة 113:1، والفاكهي، أخبار مكة 9:2–13، واليعقوبي، تاريخه: 207، و210–213، والسهيلي، الروض الأنف 134:1–135، و166–170.

(35) الفاكهي، أخبار مكة 109:4، و110.

(36) الأزرقي، أخبار مكة 220:2، والفاكهي، أخبار مكة 103:4، وفيه: "البئار" بالهمز.

(37) أخبار مكة 220:2.

(38) هكذا وردت في النص.

(39) السهيلي، الروض الأنف 172:1.

(40) الفاكهي، أخبار مكة 97:4، وانظر الأزرقي، أخبار مكة 113:1، و215:2، والبكري، معجم ما استعجم: 923، والسهيلي، الروض الأنف 172:1، والفاسي، شفاء الغرام 89:2، وسيرد الرجز في المجموع من أغاني (أناشيد) الآبار في مكة. ويبدو أن هذا النوع من الأناشيد استمر في العرب إلى وقت متأخر، ذكر ابن منظور، لسان العرب: (خقم)

خبراً عن أحد اللغويين يشبه ما نحن بصدده؛ يقول: "قال أبو منصور: ورأيتُ في ديار بني تميم رَكِيَّةً عادِيَّةً تسمَّى خَيْقَمانةَ؛ قال: وأنشدني بعضهم ونحن نستقي منها:

كأنَّما نُطْفَةُ خَيْقَمانِ

صَبِيبُ حِنَّاءٍ وَزَعْفَرانِ

وكان ماء هذه الركية أصفر شديد الصفرة". ولم أتوصّل إلى أن هذا الرجز قيل في العصر الجاهلي، بدليل اللغوي الذي سمعه ممن كان يستقي من هذه البئر، وتغير لون الماء فيها.

(41) أخبار مكة 109:4.

(42) معجم البلدان 445:2.

(43) تاريخ الأدب العربي 104:1–105، وانظر البياتي، مدخل إلى البدايات الشعرية عند العرب: 632.

(44) الشعراء الجاهليون الأوائل: 30، وانظر "أبو عبيدة"، أيام العرب قبل الإسلام 102:1–103 (دراسة البياتي)، والبياتي، مدخل إلى البدايات الشعرية عند العرب: 632، و634.

(45) تكملة النص: "وعند محاربة الأعداء، أو حُداء الإبل، أو بناء البيوت، أو ترقيص الأطفال".

(46) ت حوالي 430م.

(47) غرنباوم، دراسات في الأدب العربي: 133، وانظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: 105 (الهامش رقم 1)، وسزكين، تاريخ التراث العربي 14:1/2، وعبدالرؤوف، بدايات الشعر العربي بين الكَمّ والكَيْف: 45، والفريجات، الشعراء الجاهليون الأوائل: 30.

(48) غرنباوم، دراسات في الأدب العربي: 133–134.

(49) المرجع السابق: 134.

(50) بورا، ك موريس، الغناء والشعر: 131 وما بعدها (الفصل الخامس).

(51) وليس في أسمائه.

(52) كما في كتابي ابن إسحاق: السيرة النبوية، والسير والمغازي، وكتابي ابن الأثير: المرصّع، والنهاية في غريب الحديث.

(53) وهو قليل جداً، مثل: شعر صفية بنت عبدالمطلب، وينطبق هذا الأمر على هوامش البحث عامة، فقد قدّمت ديوان عبدالله بن رواحة على غيره من المصادر.

(54) كما في كتاب أخبار مكة للأزرقي وللفاكهي، والسيرة النبوية لابن إسحاق وابن هشام.

(55) أخبار مكة 222:2.

(56) وهذا عكس ما ذكره المبيضين، الأسرة في الشعر الجاهلي: 77 من اتفاق الضَّرَّتين على الزوج، ويبدو أن المصلحة اقتضتْ ذلك.

(57) أخبار مكة 111:4.

(58) المصدر السابق 107:4، و111–112، وانظر ما قيل في "أمّ أحْراد" و"بذَّر" في المجموع من أغاني (أناشيد) الآبار.

(59) إن ما سيرد من ألفاظ تحتاج إلى تفسير ابتداءً من هذا الموضع إلى نهاية المبحث، فإن السياق الذي وردتْ فيه يدل على معناها، إضافة إلى أنها فسِّرتْ في مواضعها التي ترد فيها في المجموع من أغاني (أناشيد) الآبار، ولذلك يكون تفسيرها في هذه الصفحات من باب التكرار الذي يثقل البحث، والابتداء بتفسيرها هنا دون تفسيرها في المجموع منها نكون قد باعدنا بين ورود معانيها في هذه الصفحات، وبين ورودها هي في المجموع من أغاني الآبار، لأن هذه الأغاني لا تقرأ دون الوقوف على دلالة الألفاظ اللغوية التي وردتْ فيها، وتدل على معانيها.

(60) قد يكون ذلك لأسباب منها سياسية دينية يُقْصَد بها القوة والكثرة، واجتماعية يُقْصَد بها الاتصال بالقبائل وإقامة صلات معها، واقتصادية يُقْصَد بها المنفعة المالية من عوائد مياه آبارهم.

(61) في ابن منظور، لسان العرب، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (زمم) الزَّواء بالمد.

(62) البكري، معجم ما استعجم: 701.

(63) ياقوت الحموي، معجم البلدان 166:3.

(64) البكري، معجم ما استعجم: 701.

(65) سُنْبُلَة: واحدة السَّنابِل، وسَنابِلُ الزَّرْع من البُرِّ والشعير والذُّرَة. ابن منظور، لسان العرب: (سنبل).

(66) البُرُّ: أفصح من قولهم القمح والحِنطة، واحدته بُرَّةٌ. المصدر السابق: (برر).

(67) المصدر السابق: (سجل).

(68) القَطَا: طائر معروف، سُمِّي بذلك لثِقَل مَشْيه، واحدته قطاة. المصدر السابق: (قطو).

(69) السهيلي، الروض الأنف 173:1.

(70) ياقوت الحموي، معجم البلدان 98:4، وانظر ابن منظور، لسان العرب: (عجل)

(71) الجَفْر: البئر الواسعة القَعْر التي لم تُطْوَ. ياقوت الحموي، معجم البلدان 170:2، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (جفر).

(72) الإنكار: هو استفهام يفيد موقفاً هو للمتكلِّم من سامعه، يتمثَّل في أنه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام. وهذا الموقف على درجات أقصاها الإنكار أو التقريع وأدناها العتاب...". الزنّاد، دروس البلاغة العربية...: 115.

(73) انظر رجز عبدالمطلب في المجموع من أغاني (أناشيد) الآبار، والأزرقي، أخبار مكة 49:2، وذكر ياقوت الحموي، معجم البلدان 167:3، وابن منظور، لسان العرب: (زمم)، و(طعم)، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (زمم) في أسماء زمزم أنها "شِفاء سُقْم وطعام طُعْم".

(74) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 154:1، وابن منظور، لسان العرب، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (بلل).

(75) إسناده صحيح رواه الأزرقي، أخبار مكة 50:2، وانظر ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل 357:3، و174:5، ومسلم، صحيح مسلم: 1922، والفاكهي، أخبار مكة 10:2، وابن

ماجه، سنن ابن ماجه: 1018، وياقوت الحموي، معجم البلدان 167:3، وابن حَجَر، فتح الباري 493:3، والزُّرْقاني، شرح الزُّرْقاني 142:1.

(76) السهيلي، الروض الأنف 174:1، من خَمَمْتُ البيتَ إذا كنسته، ويقال: فلان مخموم القلب أي نقيُّه، فكأنها سميت بذلك لنقائها.

(77) ياقوت الحموي، معجم البلدان 400:3.

(78) السهيلي، الروض الأنف 172:1.

(79) انظر ابن هشام، السيرة النبوية 156:1، والفاكهي، أخبار مكة 108:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، والبكري، معجم ما استعجم: 235، و512، وياقوت الحموي، معجم البلدان 430:1.

(80) القنبلة: لم أهتدِ إليها، ويبدو من السياق أنها اسم موضع.

(81) انظر حديثنا في المقدّمة.

(82) وذلك للوثنين اللَّذَيْن كانت تنحر قُرَيْش عندهما وهما إساف ونائلة. انظر هذا الخبر في ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1–79، وابن إسحاق، السير والمغازي: 23–25، وابن هشام، السيرة النبوية 151:1–155، والفاكهي، أخبار مكة 12:2–20، واليعقوبي، تاريخه 210:1–211.

(83) انظر اليعقوبي، تاريخه 211:1، و"الرَّوا" من أسماء "زَمْزَم".

(84) مثل: الحَفير، وخُمّ ورُمّ، وسُقَيّة وشُفَيّة.

(85) الجبوري، الشعر الجاهلي: 45.

(86) الفريجات، الشعراء الجاهليون الأوائل: 30، و40، وانظر ص: 38، و39.

(87) مصاحبة للعمل وميسِّرة له، بروكلمان، تاريخ الأدب العربي 104:1–105,

(88) انظر حديث ضيف، العصر الجاهلي: 194، إذ اعتبر القافية أهم بقايا الغناء والموسيقى التي احتفظ بها الشعر العربي.

(89) جاءت أغاني (أناشيد) الآبار على وزن الرجز والكامل مضطربة غير مستقيمة الوزن، لم يسلم منها إلاّ قول أمية بن عبد شمس في "الجَفْر" (شطر مفرد)، وقول الحُوَيْرِث بن أسد في "شُفَيّة"، وقول سُبَيْعة بنت عبد شمس وعبد شمس بن عبد مَناف في الطَّوِي، وقول بعض رجّاز الحاجّ في "العَجُول". انظر كذلك تعليقنا على "بَذَّر" من قول البكري وعلى "زَمْزَم" من قول ابن هشام فيما يأتي.

(90) البكري، معجم ما استعجم: 701.

(91) انظر في ذلك كله السهيلي، الروض الأنف 135:1، وابن منظور، لسان العرب: (زمم).

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(92) بئر قديمة بمكة، احتفرها بنو عبدالدار بن قُصَي. الفاكهي، أخبار مكة 107:4، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية 157:1، والأزرقي، أخبار مكة 222:2، والبكري، معجم ما استعجم: 118، و195، و725، والسهيلي، الروض الأنف 173:1، وابن الأثير، المرصّع: 49 لخلف بن أسعد الخُزاعي، و50، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 27:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1، ومهنّا، معجم النساء الشاعرات: 24.

(93) 1–2: الفاكهي، أخبار مكة 107:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، والبكري، معجم ما استعجم: 725، وذكر أنها "أُمية"، والسهيلي، الروض الأنف 173:1، وذكر أنها "أُمية"، وياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1، ومارون، شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان: 159، ومهنّا، معجم النساء الشاعرات: 24.

1: ابن الأثير، المرصّع: 50.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(94) أمّ أحْراد: قال السهيلي في الروض الأنف: "وأما أم أحراد... فأحراد: جمع حِرْد، وهي قطعة من السنام، فكأنها سميت بهذا، لأنها تنبت الشحم، أو تُسَمِّن الإبل، أو نحو هذا. والحُرْد: القَطا الواردة للماء، فكأنها ترِدها القطا والطير، فيكون أحراد جمع: حُرْد بالضم على هذا"، وقال بهذا ياقوت الحموي في معجم البلدان، وقال أيضاً: "أحْراد: جمع حريد، وهو المنفرد عن محلّة القوم".

النذر والجَماد: فتوح البلدان.

البرور الجماد: الروض الأنف. وضبط محقق معجم البلدان "الجماد بتشديد الميم. والنزور: القليلة الماء. والجماد: الأرض التي لم يصبْها مطر، ولا شيء فيها، اليابسة، ولعلّها أرادت أن لا حياة في البئر بمعنى الحياة، لأن الماء يحي كل شيء، وذلك لقلّة مائها؛ فاستعمالها كلمة الجماد جاء للمبالغة في قلة مائها، وكناية عن عدم حيويتها.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(95) وكانتا ضَرَّتين تفخر إحداهما على الأخرى، وذكر الفاكهي في هذا الموضع أنها أُمية بنتُ عميلة، انظر أخبار مكة 111:4–112.

1–6: المصدر السابق 112:4.

شرح المفردات:

(96) الفِصاد: الفَصْد، شقُّ العِرْق، وفَصَد الناقة: شقَّ عِرْقَها ليستخرجَ دمَه فيشربَه.

العَبِيط: الدم الطريّ. وأعواد: جمع عَوْد، وهو الجمل المسنّ. ويسيح: يجري على وجه الأرض. والجماد: مرّ تفسيره.

والسَّحاب: جمع سحابة، والسَّحابة، الغيم الذي يكون عنه المطر. وأتَفْخَرِين: في أخبار مكة "أتَفْخَرِي" والصواب ما أثبتّه. والرَّهاد: لم أهتدِ إلى معناها، والذي في ابن منظور، لسان العرب: (رهد): رَهَد الشيءَ يَرْهَدُه رَهْداً: سحقه سحقاً شديداً، ولعلّها أرادت أن بئرهم ليست عميقة فهي قليلة الماء.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(97) بئر بمكة احتفرها هاشم بن عبد مناف. البكري، معجم ما استعجم: 235–236، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية 156:1، والأزرقي، أخبار مكة 113:1، و216:2، وقال: "ويقال إن قصياً حفرها فنثلها أبو لهب"، و221، والفاكهي،

أخبار مكة 98:4–99، وقال: "ويقال إن قصياً حفرها"، و108، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، وياقوت الحموي، معجم البلدان 430:1، وقال أيضاً: هي بئر بمكة لبني عبدالدار، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس: (بذر)، وقال: "وبَذَّرُ،... بئرٌ بمكةَ لبني عبدالدار". ويبدو أن البئر آلت إلى هاشم من أجداده كبراء قريش الأوائل.

وعرَّف المعجميون "بذَّر" أنها: موضع، وقيل: ماء معروف، وقيل: اسم ماء، واستشهدوا بقول كثيِّر عزَّة، ديوانه (أبيات مفردة): 503:

سَقَى اللهُ أمْواهاً عَرَفْتُ مَكانَها
جُراباً ومَلْكُوماً وبَذَّرَ والغَمْرا

قال ابن منظور، لسان العرب: (بذر): "وهذه كلُّها آبارٌ بمكةَ؛ قال ابن بري: هذه كلها أسماء مياه بدليل إبدالها من قوله أمواهاً، ودعا بالسقيا للأمواه، وهو يريد أهلها النازلين بها اتساعاً ومجازاً". وانظر ابن دريد، جمهرة اللغة: 303، و1167، والجوهري، الصحاح: (بذر).

(98) 1، 3–7: البلاذري، فتوح البلدان: 62.

1–7: صفية بنت عبدالمطلب، شعرها: 130، ولم أعتمد رواية شعرها أصلاً كون المحقِّق غيَّر في رواية الألفاظ على النسخة التي اعتبرها أصلاً.

1–2: الفاكهي، أخبار مكة 99:4 لبنات عبدالمطلب.

1–3: الأزرقي، أخبار مكة 113:1 لبعض ولد هاشم والثاني زيادة منه، و216:2–217 لبعض بنات عبدالمطلب، والفاسي، شفاء الغرام 89:2–90 لبعض ولد هاشم.

1، 3–4، 8: الفاكهي، أخبار مكة 107:4 والشطر الثامن زيادة منه، وهو الرابع عنده.

1، 3–5: البكري، معجم ما استعجم: 725، والسهيلي، الروض الأنف 173:1.

1، 3، 5: ياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(99) بدرا: شفاء الغرام، وأظن أنه خطأ مطبعي. وبذَّر: قال ياقوت الحموي، معجم البلدان 430:1: "بذَّر... من التبذير، وهو التفريق، وهو اسم بئر، فلعل ماءها قد كان يخرج متفرِّقاً من غير مكان"، وانظر مرتضى الزبيدي، تاج العروس: (بذر). وبجانب المسور: شفاء الغرام. والمُسْتَذَر: عند خَطْم الخَنْدَمة جبل بمكة على فم شِعْب أبي طالب.

نسقي الحجيج: الأزرقي، أخبار مكة، والروض الأنف، ومعجم البلدان.

نسقي بمائها الحجيج: شفاء الغرام.

تَسْقِي الحجيج: شعر صفية، والفاكهي، أخبار مكة: 107:4، ومعجم ما استعجم.

شرّ: الروض الأنف، ومعجم البلدان.

بَثْر (بدلاً من بِشرٌ): شعر صفية، ومعجم ما استعجم. وماء بَثْرٌ: بقي منه على وجه الأرض شيء قليل. والذَّرُّ: صغار النمل، واحدته ذَرّةٌ.

القَذَر: ضدّ النظافة، والمراد به الأوساخ.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(100) 1–8: الفاكهي، أخبار مكة 111:4–112.

شرح المفردات:

(101) العَذْب: الماء الطيب الذي لا ملوحة فيه. ويُمْقَر: المُمْقِرُ من الرَّكايا، القليلة الماء.

صَرْصَر: قيل، رِيح صَرْصَر: أي شديد البرد. وسحاب: مرّ تفسيره. ويُقْصَر: لعل معناها من القَصْر وهو الحبس والمنع، وبذلك يكون معنى لم يُقْصَر: لم يمنع، أي لم ينقطع. أو من القَصْر وهو النَّقْص، والمعنى أن ماء هذه البئر غزيز كماء السحاب لم ينقص أو يقلّ.

المُزْن: السَّحاب عامة، وقيل: السَّحاب ذو الماء، واحدته مُزْنةٌ. والأَحْجَر: لم أهتدِ إلى معناها، ولعلها أُخِذت من الحَجْر وهو المنع، والمعنى: أنهم يَسْقُون الحاجّ ماءً غزيراً عند تخلّي القبائل عن سِقايتهم. والجَعْل: مصدر الاسم الجُعْل، يقال جَعَل لك جَعْلاً وجُعْلاً: وهو الأجر على الشيء فِعْلاً أو قولاً. والمعنى أنهم يَسْقُون دون أجْر.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(102) 1–2: البكري، معجم ما استعجم: 235، وقال: "هكذا ورد، وهو غير موزون"، وياقوت الحموي، معجم البلدان 430:1، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس: (بذر).

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(103) أنبطتُ: استنبطه وانتهى إليه، بمعنى استخرجه، وهو أن يأخذ في حَفْر البئر حتى يبلغ الماء.

بَذَّر: مرتضى الزبيدي. وقد مرّ تفسيرها. وقلاّس: قيل، قَلَسَت الكأس: إذا قذفت بالشراب لشدة الامتلاء، وبحر قلاّسٌ: يقذف بالزَّبد. والمعنى: أن الماء يفيض منها لشدة امتلائها.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(104) بئر بمكة احتفرها أمية بن عبد شمس. الأزرقي، أخبار مكة 218:2، و222، و221 لكلاب بن مُرّة، وانظر الفاكهي، أخبار مكة 101:4، و104، وفي رواية أخرى لكِلاب بن مُرَّة، و108، و110، والبلاذري، فتوح البلدان: 60 لكلاب بن مُرَّة، و61 لعبد شمس بن عبد مَناف، وياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1 لبني تميم بن مُرّة، و171:2، وقال: "احتفر بنو تَيم بن مُرَّة الجَفْر، وهي بئر مُرَّة بن كعب"، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (جفر) لبني تَيْم بن مُرَّة. ويبدو أن البئر آلتْ إلى أمية بن عبد شمس من أجداده كبراء قريش الأوائل بدليل قوله فيها.

(105) ابن هشام، في السيرة النبوية 157:1، و158 دون عزو، وياقوت الحموي، معجم البلدان 317:2 لبني تميم بن مُرَّة، وقال: "ورواه الحازمي بالجيم"، وذكرها في 80:3 في رسم "رُمّ" بالحاء "الحَفْر" لكِلاب من مُرّة. وتميم قد يكون خطأً مطبعياً، والصواب هو: تَيْم بن مُرَّة بن كعب، انظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: 13، و135–140.

(106) شطر 1: الفاكهي، أخبار مكة 101:4، وياقوت الحموي،

معجم البلدان 171:2، ومارون، شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان: 159.

شرح المفردات:

(107) الجَفْر: البئر الواسعة القَعْر التي لم تُطْوَ.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(108) 1–12: الفاكهي، أخبار مكة 110:4.

شرح المفردات:

(109) هممتُ همّاً: الهَمُّ، الحُزْن، والمراد: حَزَن حُزْناً. وغمّا: الغَمّ، الكَرْب والحُزْن.

تطمّا: يقال: طَمَّ الماءُ، إذا كَثُر وعلا وغَمَر، وطَمَّ الشيءُ، إذا عَظُمَ. وخِضمّا: الخِضَمّ، الجمع الكثير، والخِضَمّ، البحر لكثرة مائه وخيره؛ ولعل المراد بمعنى الكلمة حتى يظهر لنا ماء هذه البئر كثيراً

ألمّا: نزل. ولينا‌كم: الوَليّ الذي يَلي عليك أمرك، وكلُّ من وَلِيَ أمراً أو قام به فهو مَوْلاه وَوَلِيّه. ونذمّا: الذَّمُّ، اللوم في الإساءة.

فَرَجْنا: الفَرَج، انكِشافُ الكَرْب وذهابُ الغَمّ. وأهمّا: أحْزَن وأقلق. وقمعنا: القَمْع، القَهْر والرَّدْع والكَفّ. والأبلح: يقال: بَلَحَ الرجل، أي أعيا، والبالِحُ والمُبالِحُ: الممتنع الغالبُ، وبالَحَهُم، خاصمهم حتى غلبهم وليس بمحِقّ؛ وقد يكون المعنى: أنهم قهروا مَنْ كان مخاصماً لهم أو كان ممتنعاً عليهم. والغِشمّا: الغَشْمُ، الظُّلْمُ والغَصْب.

أصمّ: الذي لا يسمع. ويُحمّا: يقال: حُمَّ هذا الأمر، وحُمَّ الشيءُ، إذا قُضِيَ وقُدِّرَ.

أعمّا: يقال عَمَّهُم الأمرُ، شَمِلهم. والمُهمّا: المُهِمّاتُ من الأمور، الشدائدُ المُحْرقة.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(110) بئر بمكة احتفرها بنو تَيْم. انظر الفاكهي، أخبار مكة 108:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 62 لبني عدي، والبكري، معجم ما استعجم: 726، وياقوت الحموي، معجم البلدان 319:2 لبني تميم.

(111) 1–2: الفاكهي، أخبار مكة 108:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 62 لشاعر من بني عدي، والبكري، معجم ما استعجم: 726، وياقوت الحموي، معجم البلدان 319:2 لشاعر من بني تميم.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(112) اللهُ قد سَنَّى لنا: البكري، معجم ما استعجم.

قَد سخَّرَ اللهُ لنا: معجم البلدان. وسخَّر: ذلَّل، أي ساقها لهم للانتفاع بها.

نَحْنُ حَفَرْنا بِئْرَنا الحَفِيرا: فتوح البلدان. والحَفير: البئر الموسَّعة فوق قدْرها.

ماؤُها غَدِيرا: البكري، معجم ما استعجم. ويجيش: يزخر ويفور.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(113) بئر بمكة احتفرها كلاب بن مُرَّة. البلاذري، فتوح البلدان: 60، و61 لعبد شمس، وانظر ابن هشام السيرة النبوية 158:1، والأزرقي، أخبار مكة 214:2، وقال: "ويقال: إنها كانت لبني مخزوم"، و220–221، والفاكهي، أخبار مكة 97:4، وقال: "ويقال: إنها كانت لبني مخزوم"، و98 لعبد شمس، و104، والبكري، معجم ما استعجم: 510 لعبد شمس، والسهيلي، الروض الأنف 174:1 لمُرَّة، وذكرها ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 81:2 "خُمَّى" دون عزو، وذكرها ياقوت الحموي، معجم البلدان 445:2 ثلاث مرات، نسبها في المرة الثانية والثالثة إلى عبد شمس بن عبد مَناف، وإلى مُرّة بن كعب بن لؤي، و98:4 لقُصَي بن كلاب، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (خمم) لعبد شمس بن عبد مناف، والشافعي، موسوعة شعراء العرب 119:1 لعبد شمس.

(114) بئر بمكة احتفرها كلاب بن مُرَّة. البلاذري، فتوح البلدان: 60، و61 لعبد شمس بن عبد مناف، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية 158:1 لمُرّة بن كَعْب بن لؤي، والأزرقي، أخبار مكة 214:2 لمُرَّة بن كعب بن لؤي، و220–221، والفاكهي، أخبار مكة 97:4، وقال: "وزعموا أن مُرّة بن كَعْب حفر بئراً يقال لها: رُمّ"، و104، والبكري، معجم ما استعجم: 510، و702 وذكرها فيهما بالزاي "زُمّ" لعبد شمس بن عبد مَناف، والسهيلي، الروض الأنف 174:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 445:2 لعبد شمس بن عبد مَناف، و80:3، وقال: "رُمّ... من حفائر مُرّة بن كعب"، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (رمم)، وقال: "رُمّ... من حَفْر مُرّة بن كَعْب"، والشافعي، موسوعة شعراء العرب 119:1 لعبد شمس. ويبدو من المصادر السابقة أن "خُمّاً ورُمّاً" لكلاب بن مُرّة، ثم آلتا إلى أحفاده إلى أن صارتا لعبد شمس بن عبد مناف بدليل قوله فيهما.

(115) 1–2: البلاذري، فتوح البلدان: 61، والبكري، معجم ما استعجم: 510، والسهيلي، الروض الأنف 174:1 لعبد شمس بن قصي، وياقوت الحموي، معجم البلدان 445:2، والشافعي، موسوعة شعراء العرب 119:1.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(116) حفرتُ رُمّاً، وحفرتُ خُمّا: الروض الأنف. وخُمّ: من خَمَمْتُ البيتَ إذا كنسته، ويقال: فلان مخموم القلب أي نقيُّه، فكأنها سميت بذلك لنقائها.

زُمّا (بدلاً من رُمّا): معجم ما استعجم. ورُمّ: من رممتُ الشيء إذا جمعته وأصلحته.

حتَّى تَرَى: معجم ما استعجم، والروض الأنف، ومعجم البلدان.

المَجْدَ بها: الروض الأنف.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(117) بئر معروفة بمكة عند الكعبة. يذكر الرواة أنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، التي سقاه الله حين ظَمِئ وهو صغير، ثم أُمِر عبدالمطلب بحفرها وهي دَفْن بين صَنَمَي

قريش إسافٍ ونائلة، عند مَنْحَر قريش، وكانت جُرْهم دَفَنَتْها حين ظَعَنوا من مكة. ابن هشام، السيرة النبوية 116:1، و117، و150–155، و158، وانظر ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1–80، وابن إسحاق، السير والمغازي: 23–26، والمسعودي، مروج الذهب 103:2، وابن كثير، البداية والنهاية 245:2–247.

(118) 1–4: الفاكهي، أخبار مكة 14:2.
1–2: الخطّابي، غريب الحديث 152:3، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 151:4.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(119) تُكْتَم: اسم بئر زمزم، سُمِّيَت بذلك لأنها كانت اندفنت بعد جُرْهُم فصارت مكتومة حتى أظهرها عبدالمطلب.
الفرث والدم: غريب الحديث، والنهاية في غريب الحديث.
والفَرْث: السِّرْجينُ ما دام في الكَرِشِ، وقيل: هو السِّرْقينُ.
وفي الجواليقي، المعرَّب: 186 "السَّرْقين: معربٌ، أصله سَرْجِينُ"، وفي هامش كتاب المعرَّب رقم (6): "السرقين بكسر السين وبفتحها مع سكون الراء وكسر القاف، وكذلك السرجين بالضَّبْطَيْن، وهو الزِّبْل: وكلاهما تعريب سركين بالكاف الفارسية التي تنطق كالجيم غير المعطشة".
والأنْصاب: واحدها النُّصُب، وهي حجارة كانت حول الكعبة، تُنْصَبُ فَيُهَلُّ عليها، ويُذْبَحُ لغير الله تعالى. والحُمْر: من أثر الدم المراق عليها من الذبائح.
وقرية النمل: قيل في معناها، إنها لا تحرث ولا تبذر، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب، أي أن رزقها يأتيها من كل مكان. وقيل: إن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماء في الحوض: إذا جمعته.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(120) 1–2: الفاكهي، أخبار مكة 13:2، واليعقوبي، تاريخه 210:1، و211، وأبو البقاء، المناقب المزيدية 329:1.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(121) رواهما اليعقوبي، تاريخه (في الموضعين) على النحو الآتي:
هَلُمَّ إلى الماءِ الرَّوا
أُعْطِيتُهُ عَلَى رَغْمِ العِدا
ورواهما أبو البقاء، المناقب المزيدية على النحو الآتي:
هَلُمَّ إلى الرَّواءْ
أُعْطِيتُهُ عَلَى رَغْمِ الأعْداءْ
والرَّوا: قيل، ماء رَوِيّ ورِوًى ورَواء: كثير، وماء رَواء ممدود مفتوح الراء، أي عَذْب. والرَّواء من أسماء زمزم (ابن منظور، لسان العرب، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: زمم). وعلى رَغْم: على كُرْه منهم.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(122) 1–3، 5–11: ابن هشام، السيرة النبوية 153:1–154، وقال ابن هشام ص: 154:"هذا الكلام والكلام الذي قبله من حديث علي رضوان الله عليه في حَفْر زمزم من قوله: لا تنزف أبداً ولا تذم إلى قوله: عند قرية النمل عندنا سجع وليس شعراً"، وانظر ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، وابن إسحاق، السير والمغازي: 23، والفاكهي، أخبار مكة 18:2، وابن كثير، البداية والنهاية 246:2.
1–2: البكري، معجم ما استعجم: 701.
1، 3: اليعقوبي، تاريخ 210:1 (الموضع الأول).
1، 3–4، 12، 11، 13: أبو البقاء، المناقب المزيدية 329:1 (الموضع الثاني) والشطر الرابع زيادة منه.
1، 5: ابن إسحاق، السيرة النبوية 79:1، وابن إسحاق، السير والمغازي: 25، وابن منظور، لسان العرب: (ذمم).
1، 5، 6: الفاكهي، أخبار مكة 12:2، و13.
1، 5، 6، 11–12: أبو البقاء، المناقب المزيدية 329:1 (الموضع الأول).
1، 5، 6، 11–13: ابن هشام، السيرة النبوية 151:1، والشطران: الثاني عشر والثالث عشر زيادة منه، والفاكهي، أخبار مكة 16:2، واليعقوبي، تاريخه 210:1 (الموضع الثاني)، وابن كثير، البداية والنهاية 245:2، وقرون، زمزم بنت التاريخ: 1059.
1، 5، 11: الفاكهي، أخبار مكة 14:2.
5: ابن منظور، لسان العرب: (نزف).
5–6، 11–12: ياقوت الحموي، معجم البلدان 168:3.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(123) زمزم: "سُمِّيَت زمزم، بزمزمة الماء، وهي صوته، وقال المسعودي: سميت زمزم؛ لأن الفُرْس كانت تحج إليها في الزمن الأول، فزمزمت عليها. والزمزمة: صوت يخرجه الفُرْس من خياشيمها عند شرب الماء. وقد كتب عمر – رضي الله عنه – إلى عماله: أن انهوا الفُرْس عن الزمزمة... و(قيل): أنها سميت: زمزم لأنها زُمّت بالتراب؛ لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً". السهيلي، الروض الأنف 134:1–135، وانظر الفاكهي، أخبار مكة 10:2 قال: "إنما سميت زمزم لأنها مشتقة من الهَزْمة، والهَزْمة: الغَمْزة بالعَقِب في الأرض"، وقال البكري، معجم ما استعجم: 701: "وقال بعضهم: إنها مشتقة من قولهم ماءٌ زَمْزُوم وزَمْزام، أي كثير. قال أبو إسحاق الحربي: سُمِّيت زَمْزَم لتَزَمْزُمِ الماءِ فيها، وهي حركته"، وزاد ياقوت الحموي، معجم البلدان 166:3 فقال: "وقيل: بل سُمِّيَت زمزم لزمزمة جبرائيل، عليه السلام، وكلامه عليها؛ وقال ابن هشام: الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع".
احتفر زمزم: أخبار مكة 12:2.
إن حفرتها (دون: إنك): أخبار مكة 18:2.
لن تندم: البداية والنهاية 246:2.
هي (دون: الواو): ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، والسير والمغازي: 23.
تراث (دون: وهي): المناقب المزيدية (الموضع الثاني).
تراث أبيك: أخبار مكة 18:2، والمناقب المزيدية (الموضع الثاني).

أبيك الأقدم: ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، والسير والمغازي: 23، والمناقب المزيدية (الموضع الثاني).
حفيرة الشيخ الأعظم: تاريخ اليعقوبي (الموضع الأول).
الرُّكْن: في الأصل جانب الشيء الأقوى، والمراد به ركن الكعبة المعظمة الذي فيه الحجر الأسود.
لا تنزف الدهر: ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، والسير والمغازي: 23.
لا تُنْزَف ولا تذمّ: ابن إسحاق، السيرة النبوية 79:1، والسير والمغازي: 25، وأخبار مكة 12:2، و13، و14، و16، وتاريخ اليعقوبي (الموضع الثاني)، والمناقب المزيدية (الموضع الأول)، ولسان العرب: (نزف).
لا يُنْزَفُ ولا يُذَمّ: لسان العرب: (ذمم).
لا تُنْزَف ولا تُهْدَم: معجم البلدان. ولا تنزف: لا يَفْنَى ماؤها على كثرة الاستقاء. ولا تذم: أي لا توجد قليلة الماء، من قولهم: بئر ذَمّة: إذا كانت قليلة الماء.
ولا تزم: البداية والنهاية وأظن أنه خطأ مطبعي.
تَرْوي (بدلاً من: تسقي): أخبار مكة 13:2، و18، وتاريخ اليعقوبي (الموضع الثاني)، والمناقب المزيدية (الموضع الأول).
الحجّ (بدلاً من: الحجيج): تاريخ اليعقوبي (الموضع الثاني).
نعام حافل: ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، والسير والمغازي: 23. والجافل: الكثير. ولم يُقْسَم: لم يتوزّع، ولم يتفرّق.
ناذر بمنعم: البداية والنهاية 246:2.
ناذر ليغنم: أخبار مكة 18:2.
فهي ميراث وعقد: ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، والسير والمغازي: 23.
ليس: أخبار مكة 18:2.
ليست لبعض: البداية والنهاية 246:2.
قد يعلم: ابن إسحاق، السيرة النبوية 77:1، والسير والمغازي: 23.
بين الفرث (دون: وهي): أخبار مكة 14:2، وتاريخ اليعقوبي (الموضع الثاني). والفرث: مرّ تفسيره.
عند الفرث (دون: وهي بين): المناقب المزيدية (الموضع الثاني).
بين فرث ودم (دون: وهي): المناقب المزيدية (الموضع الأول)، وذكر أبو البقاء قبله، قوله: "بركة من الله ألقاها...".
بحيث الغراب: المناقب المزيدية (الموضع الثاني).
عند مبحث الغراب: تاريخ اليعقوبي (الموضع الثاني).
الأسْحَم (بدلاً من: الأعْصَم): المناقب المزيدية (الموضع الأول)، قال أبو البقاء: "وقيل: الأسحم". والأعصم من الغربان: الذي في جناحيه بياض، وقيل غير ذلك.
وقرية (دون: عند): تاريخ اليعقوبي (الموضع الثاني). وقرية النمل: مرّ تفسيرها.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(124) 1–3: ابن هشام، السيرة النبوية 153:1، والفاكهي، أخبار مكة 18:2، وابن كثير، البداية والنهاية 245:2.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(125) بالماء الرُّوا: أخبار مكة. وماء رَوِي: يقال، ماء رِوًى بالكسر والقصر، ورَواء بالفتح والمد، أي كثير. والكَدِر: خلاف الصَّفْو.
سُقْيا الحَجِيجِ في: المصدر السابق. والحجيج: جمع حاج. وفي كل مَبَرّ: هو مَفْعَل من البِرّ، يريد في مناسك الحج ومواضع الطاعة، وضبط محقّق كتاب أخبار مكة "مَبّر" بتشديد الباء.
يُخاف فيه: المصدر السابق. وعَمَر: بقي، أي ما عَمَر هذا الماء، فإنه لا يؤذي ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(126) 1–2: الأزرقي، أخبار مكة 58:2 (وردا في موضعين) نسبا فيهما إلى عباس بن عبدالمطلب وإلى ابن عباس، والفاكهي، أخبار مكة 14:2، واليعقوبي، تاريخه 211:1، والسُّهَيْلي، الرَّوْض الأُنُف 172:1، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 429:1 (في حديث العباس وزمزم)، وابن كثير، البداية والنهاية 247:2 (وردا في ثلاثة مواضع)، ونسبهما في رواية ذكرها في الموضع الأول إلى العباس بن عبدالمطلب، ونسبهما في الموضع الثالث في روايتين إلى العباس بن عبدالمطلب، وابن عباس، وفي ذلك يقول أيضاً: "وهذا صحيح إليهما، وكأنهما يقولان ذلك في أيامهما على سبيل التبليغ والإعلام بما اشترطه عبدالمطلب عند حفره لها فلا ينافي ما تقدم"، وابن منظور، لسان العرب: (بلل)، وقال: "وهذا القول نسبه الجوهري للعباس بن عبدالمطلب، والصحيح أن قائله عبدالمطلب كما ذكره ابن سيده وغيره، وحكاه ابن برّي عن علي بن حمزة، وحُكي أيضاً عن الزبير بن بكّار..."، و(حلل).
2: الأزرقي، أخبار مكة 58:2 (جزء من الشطر الثاني) لابن عباس، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 154:1 (دون عزو).

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(127) لا أُحِلُّها (دون: اللَّهُمّ إني): الأزرقي، أخبار مكة، والروض الأنف، والبداية والنهاية (الموضع الثاني والثالث)، ولسان العرب.
لَسْتُ أُحِلُّها (دون: اللَّهُمّ إني): النهاية في غريب الحديث 429:1.
لا أحلّه: تاريخ اليعقوبي. وحِلّ: أي حلال، ضد الحرام، أو محلَّل.
هي (دون الواو): النهاية في غريب الحديث 154:1.
هي حِلّ وبِلّ (دون واو هي، ودون: لشاربها): الأزرقي، أخبار مكة.

ولكن لشارب حَلَّ (دون: وبل): تاريخ اليعقوبي.
لشارب حِلٌّ: الروض الأنف، والنهاية في غريب الحديث، ولسان العرب، والبداية والنهاية.
وهي لمتوضئ وشارب حِلّ: الأزرقي، أخبار مكة (الموضع الأول).
وهي لشارب ومتوضئ حِلّ: الأزرقي، أخبار مكة (الموضع الثاني). وبِلّ: بلغة حمير مباح، وقيل: شفاء من قولهم: بَلَّ من مرضه، وأبلّ.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(128) هو: والد خديجة أم المؤمنين.

(129) 1–2: الفاكهي، أخبار مكة 22:2.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(130) رغداً، حتداً: ضبطهما محقق كتاب أخبار مكة بتنوين الفتح. والرَّغَد: يقال، عيش رَغْد ورَغَد: كثير، وقيل: مُخْصِبٌ رفِيهٌ غزير، وقيل: الواسع الطيب. ونَثَلْتَ: استخرجت. والعاديّة، القديمة، كأنها نسبت إلى عاد وهم قوم هود، وكل قديم ينسبونه إلى عاد وإن لم يدركهم. وحُتُد: نقول، عينٌ حُتُدٌ: أي لا ينقطع ماؤها من عيون الأرض.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(131) 1–3: الفاكهي، أخبار مكة 22:2.

شرح المفردات:

(132) يساعفني: الإسْعافُ والمُساعَفةُ، المُساعَدةُ والمُواتاةُ والمعاونةُ. والبِرّ: الخير والصلاح. والأزْر: القوة والشدة. وبذلتُ: البَذْل، العطاء والجود، ضدّ المنع. والصِّهْر: القرابة، والصِّهْر كذلك: زوجُ بنتِ الرجل وزوج أخته.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(133) 1–2: مروج الذهب 104:2، وتكملة الخبر في مكان الفراغ الثاني (103:2–104): "وجعل باب الكعبة مذهباً"، وذكر بعد الشطرين قوله:

بَعْدَ كُنُوزِ الحَلْيِ والصَّفائحْ
حَلْياً لِبَيْتِ اللهِ ذِي المَسارِحْ

شرح المفردات:

(134) والشُّح: البخل. والمُشاحِح: اسم فاعل للفعل الرباعي شاحَحَ. ورَغْم: مرّ تفسيره. والكاشِح: العَدُوُّ المُبْغِضُ. والحَلْي: ما تُزَيَّنَ به من مَصُوغ المعدنيات أو الحجارة، والجمع حُلِيٌّ. والصفائح: السيوف العريضة، وهي المُصَفَّحات أيضاً. والمسارح: جمع مَسْرَح، وهو الموضع (المرعى) الذي تَسرَح فيه الدواب للرّعي، والمراد هنا الموضع الذي يذهب إليه الحاج.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(135) 1–4: صفية بنت عبدالمطلب، شعرها: 136، وانظر البلاذري، أنساب الأشراف 78:1.
1–3: ياقوت الحموي، معجم البلدان .168:3
1، 4، 3، 2: الفاكهي، أخبار مكة 11:2 والقافية عنده مطلقة، وزاد شطراً في آخر الأشطار، وروايته لها هي:

نَحْنُ حَفَرْنا لِلْحَجِيجِ زَمْزَما
شِفاءَ سُقْمٍ وَطَعامَ مُطْعِما
رَكْضَةُ جِبْرِيلَ ولَمّا تَعْظُما
سُقْيا نَبِيِّ اللهِ فِي المُحَرَّما
ابْنُ خَلِيلِ رَبَّنا المُكَرَّما

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(136) سقيا نبيِّ اللهِ في المُحَرَّمْ: معجم البلدان.
رَكْض جِبْرِيلَ ولمّا يُفْطَمْ: المصدر السابق. وهَزْمة: هَزَمه، غَمَزَه بيده فصارت فيه حفرة. والهَزْمة: النقرة، وهَزَمْتُ البئر: حَفَرْتُها. وهَزْمة جبريلَ: أي ضربَ برجلِه فانخفض المكان فنبَعَ الماءُ. ولم تذمّم: أي ولم تذمّ: بمعنى لا توجد قليلة الماء، من قولهم: بئر ذَمّة: إذا كانت قليلة الماء.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(137) بئر احْتَفَرها قُصَيٌّ بمكة، وقيل: بل حَفَرها هاشِم بن عبد مناف، وَوَهَبَها أسَدُ بن هاشم لعَدِيِّ بن نَوْفَل. البكري، معجم ما استعجم: 724، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية 157:1، والمصعب الزبيري، نسب قريش: 197 لعدي بن نوفل، والأزرقي، أخبار مكة 217:2، و221، والفاكهي، أخبار مكة 99:4–100، وقال: "ويقال: لا بل كانت هذه البئر لعَدي بن نوفل"، و108، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، والسهيلي، الروض الأنف 172:2–173، وياقوت الحموي، معجم البلدان 217:3. ويبدو من هذه الروايات أن قُصَيّاً حفرها أولاً ثم آلتْ إلى هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بدليل قول كل منهما فيها.

(138) 1–2: البكري، معجم ما استعجم: 724، والسهيلي، الروض الأنف 172:1.

شرح المفردات:

(139) سَجْلة: على لفظ تأنيث السَّجْل من الدِّلاء، والسَّجْل: الدَّلْو الضخمة المملوءة ماءً، مُذَكَّر، وقيل: هو مِلْؤها، وقيل: السَّجْل، الدَّلو إذا كان فيها ماء قلّ أو كَثُر، ولا يقال لها وهي فارغة سَجْل ولكن دَلْو، وأسْجَلْت الحوض: إذا ملأته.
زُغْلة فزُغْلة: أي جَرْعَة فجَرْعَة.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(140) 1–3: البلاذري، فتوح البلدان: 61.
1، 3: البكري، معجم ما استعجم: 724، والسهيلي، الروض الأنف 173:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 217:3.

شرح المفردات:

(141) وهب: أعطى. وعدي: هو عدي بن نوفل بن عبد مناف. والعَذَاة: الأرضُ الطَّيِّبة التُّرْبةِ الكريمةُ المَنْبِتِ التي ليست بسَبِخةٍ (أي ليست مالحة)، وقيل: هي الأرضُ البعيدةُ عن الأحْساءِ والزُّرُوعِ والريف، السَّهْلة المريئة التي يكون كَلَؤها مريئاً ناجعاً، وقيل: غير ذلك، ولا تكون العذاة ذات وخامةٍ ولا وباءٍ. وسَهْلة: السَّهْل من الأرض، نقيض الحَزْنِ، وهي أرض منبسطة لا تبلغ الهَضْبة. وزغلة: مرّ تفسيرها.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(142) 1–4: أخبار مكة 109:4.

شرح المفردات:

(143) الفُصُول: قد يكون معناها أُخِذ من الفَصْل بمعنى القَطْع، أو بمعنى الحاجز بين الشيئين، وكأن حافِرَ البئر فَصَل البئر أو حَجَز بينها وبين داره بحجارة صلبة متراصفة، وذلك أضمن لصفاء مائها. وسَهْلة: مرّ تفسيرها. ونابتة: ما نبتَ عليها، أي نشأ وظهر من البقل. وسقائها: موضع السَّقْي، أي مكان الشُّرْب. وبقلة: واحدة البَقْل، والبَقْل من النبات: ما ليس بشجر دِقٌّ ولا جِلٌّ، وحقيقة رسمه أنه ما لم تبق له أُرومة على الشتاء بعدما يُرْعى.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(144) بئر كانت بمكة، من أبيار الجاهلية، احتفرها بنو أسد بن عبدالعُزَّى، وهي بئر بني أسد. ابن هشام، السيرة النبوية 157:1، وقال ياقوت الحموي، معجم البلدان 259:3 في رسم (سُقَيّة): "سُقَيّة: بلفظ تصغير سقية، وقد رواها قوم شُفَيّة، بالشين المعجمة والفاء... قال أبو عبيدة:... شُفَيّة... قال الزبير: وخالفه عَمّي فقال: إنما هي سُقَيّة، بالسين المهملة والقاف"، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس: (سقي) دون عزو فيهما.

(145) بئر قديمة احتفرها بنو أسد بن عبدالعُزَّى، ويقال: سُقَية، يقال لها بئر الأسود. الأزرقي، أخبار مكة 218:2–219، وذكر في 225:2 في الآبار الإسلامية أن هذه البئر يقال لها بئر الصلا، وهي للأسود بن سفيان بن عبدالأسد المخزومي، والفاكهي، أخبار مكة 102:4، و110، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، والبكري، معجم ما استعجم: 725، و805 دون عزو، والسهيلي، الروض الأنف 174:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1، وقال في 400:3 في رسم (شُفَيّة): "شُفَيّة: بلفظ تصغير شِفاء للذي يَشفي من الداء: اسم بئر قديمة كانت بمكة، قال أبو عبيدة:... شُفَيّة... قال الزبير: وخالفه عَمّي وقال: إنما هي سُقَيّة، بالسين المهملة والقاف".

(146) 1–2: الفاكهي، أخبار مكة: 102:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، والبكري، معجم ما استعجم: 725، والسهيلي، الروض الأنف 174:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 259:3، و400.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(147) كماء المُزْن: فتوح البلدان، والروض الأنف. والصَّوْب: المطر. والمُزْن: مرّ تفسيره. والطَّرْق: الماء المجتمع الذي خِيضَ فيه وبِيلَ وبُعِر فَكَدِر. والأجْن: الماء المتغيّر الطعم واللون.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(148) بئر قديمة احتفرها بنو جُمَح بمكة، وهي بئر خَلَفِ بن وَهْب الجُمَحي، ويقال لها اليوم، بئر أُبَيّ. الأزرقي، أخبار مكة 219:2، وانظر ابن هشام، السيرة النبوية 158:1، والفاكهي، أخبار مكة 102:4–103، و111، والبلاذري، فتوح البلدان: 62، والبكري، معجم ما استعجم: 725، 759، والسهيلي، الروض الأنف 175:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1، و296:3، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (سنبل)، وقال: و"حفرها... بنو عامر"، والفاسي، شفاء الغرام 342:1.

(149) 1–4، 7: السهيلي، الروض الأنف 175:1.

1: ياقوت الحموي، معجم البلدان 296:3 (الموضع الأول)، وابن منظور، لسان العرب، ومرتضى الزَّبيدي، تاج العروس: (سنبل).

1–2: البلاذري، فتوح البلدان: 62، والبكري، معجم ما استعجم: 725، وياقوت الحموي، معجم البلدان 296:3 (الموضع الثاني).

1–2، 4: البكري، معجم ما استعجم: 759.

1، 3–7، 2: الفاكهي، أخبار مكة 111:4، والشطران الخامس والسادس زيادة منه.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(150) سُنْبُلَة: على لفظ سنبلة الزرع، قال ياقوت الحموي، معجم البلدان في روايته: "ورواه الأزهري بالفتح والأول رواية العمراني، وما أراه إلاّ سهواً من العمراني، وقال نصر: سُنبلة، بالضم، بئر بمكة... وأنا بالأزهري أوْثَقُ ومن خطّه نقلتُ".

بئرَ صِدْقٍ سُنْبُلَةْ: أخبار مكة.

سَحابٍ رَبُّنا هُوَ أنْزَلَهْ: أخبار مكة. والصَّوْب: مرّ تفسيره.

مِثْلَ فَيْضِ العَنْبَلَةْ: أخبار مكة. والقُنْبُلة، والمَعْبَلة، والعَنْبَلة: لم أهتدِ إليها كلها، ويبدو أنها أسماء مواضع، والذي ورد في ابن منظور، لسان العرب: (قنبل): "القُنْبُلة: مِصيدة يُصاد بها النُّهَسُ، وهو أبو بَراقِش". وفي: (عبل): "الأَعْبَل والعَبْلاء: حجارة بِيضٌ"، فلعل المراد هنا موضع حجارته على هذا النحو. والرَّأْس: يُراد به مكان مرتفع.

ماءِ اليَعْمَلَةْ: معجم ما استعجم: 759.

بذّر: بئر بمكة مرّ الحديث عنها. والحَرْمَلة: يبدو – من السياق – أنها بئر، ولم يذكرها أحد من الرواة أو أصحاب المعاجم.

والعبيط: مرّ تفسيره. واليَعْمَلَة من الإبل: النَّجيبة المُعْتَمَلة المطبوعة على العَمَل، وقيل اليَعْمَلة، الناقة السريعة اشتق لها اسم من العمل، والمراد هنا تجّدد مياهها باستمرار، وكأنها ناقة تعمل باستمرار على وجه السرعة، وذلك صفة فيها، وضبط محقق كتاب الفاكهي اليعملة بضم الميم.

ثُمّ سَقَيْنا: أخبار مكة.

الناسَ عندَ المَسْهَلَةْ: أخبار مكة.

تحقيق النسبة وتخريج البيت:

(151) بئر احتفرها عبدُ شمس بنُ عبد مَناف بمكة. ابن هشام، السيرة النبوية 156:1، وانظر الأزرقي، أخبار مكة 217:2–218، و221، و223:2–224، وقال: "حفرها عقيل بن أبي طالب ويقال... نثلها عقيل بن أبي طالب"، والفاكهي، أخبار

مكة 100:4، و101، و109، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، وياقوت الحموي، معجم البلدان 58:4، والفاسي، شفاء الغرام 341:1، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس: (طوي). ويبدو أن البئر لعبد شمس بن عبد مناف بدليل قوله فيها، ولأن أكثر المصادر نسبتها إليه.

(152) البيت في: الفاكهي، أخبار مكة 101:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 61، وياقوت الحموي، معجم البلدان 58:4.

رواية البيت، وشرح المفردات:

(153) الطَّوِيّ: البئر المطوية بالحجارة.
إذا شَرِبْتُمْ: فتوح البلدان.
صَوْب الغمامِ: المصدر السابق. والصَّوْب، والعُذُوبة: مرَّ تفسيرهما.

تحقيق النسبة وتخريج الأبيات:

(154) الأبيات 1–4: الفاكهي، أخبار مكة 109:4–110.

شرح المفردات:

(155) الصَّوْب والعذوبة: مرّ تفسيرهما. وتُفْرَك: لم أهتدِ لمعناها، وقد يكون المراد بها أن مَنْ يشرب من هذه البئر يستعذب ماءها، فلا يبغضها أي يكره ماءها، أو لا يتركها؛ مأخوذ من الفَرْك والفِرْك بمعنى البغض، أو من فارَك فلانٌ فلاناً بمعنى تارَكه، والمُفَرَّك، المتروك المُبْغَضُ. وأكناف: جمع الكَنَف، وهو الجانب والناحية.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(156) بئر احتفرها قُصَي بن كلاب، وكان أولَ من احتفرَ بأبْطَح مكة سقايةً يشربُها الحاجُ والناسُ غير زمزم، فكانت أول سقاية احتفرت بمكة. الأزرقي، أخبار مكة 112:1، و215:2، والفاكهي، أخبار مكة 97:4، و98، وقال: "إن عبد شمس احتفر بعد العَجُول: خُمّاً"، والبلاذري، أنساب الأشراف 51:1، والبلاذري، فتوح البلدان: 60، وأبو البقاء، المناقب المزيدية 328:1، والسهيلي، الروض الأنف 172:1، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث 187:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 98:4–99، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (عجل)، وقال: "بئر بمكة حفرها عبد شمس"، والفاسي، شفاء الغرام 89:2 وسمّاها الضحول، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس (عجل)، وقال: "حفرها عبد شمس"، والفريجات، الشعراء الجاهليون الأوائل: 31.

(157) 1–4: البلاذري، فتوح البلدان: 60.
1، 3: السهيلي، الروض الأنف 172:1، قال: "وكانت العرب إذا... ارتجزوا، فقالوا:..."، والفاسي، شفاء الغرام 89:2 لقائل.
1، 3–4: الأزرقي، أخبار مكة 113:1 لقائل من العرب، و215:2 لقائل من العرب، والفاكهي، أخبار مكة 97:4 لرجل من وارديها من العرب، والبلاذري، أنساب الأشراف 51:1، والبكري، معجم ما استعجم: 923، قال: "وكانت العرب إذا... ارتجزوا، فقالوا:..."، وأبو البقاء، المناقب المزيدية 328:1 لراجز، وياقوت الحموي، معجم البلدان 99:4، والفريجات، الشعراء الجاهليون الأوائل: 31.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(158) نروى: اختلف المحقّقون في ضبط النون في رواية مَنْ رواها: نروى، ونروي، وفي ضبط التاء في رواية مَنْ رواها: تروى، وتروي، ومنهم مَنْ تجاهل ضبطها، واختلفوا في إثباتها بين أن تكون بالألف المقصورة أو بالياء، ولعلّها رواية واحدة، وربما يعود اختلافهم في هذا الأمر إلى الاجتهاد في روايتها، وذلك على النحو الآتي:
نروى (بالألف المقصورة): فتوح البلدان، والروض الأنف، وضبطت فيه بضم النون، ومعجم البلدان وضبطت فيه بفتح النون. ولعل الكلمة بالبناء للمعلوم وليس بالبناء للمجهول.
نَرْوِي (بالياء): الفاكهي، أخبار مكة، والشعراء الجاهليون الأوائل.
تروى (بالألف المقصورة): أنساب الأشراف دون ضبط.
تُرْوِي (بالياء): معجم ما استعجم وضبطت بضم التاء.
أروى من: الأزرقي، أخبار مكة، وشفاء الغرام.
نُسْقى (بدلاً من: نُرْوى): المناقب المزيدية. والعَجُول: على لفظ فَعُول من العَجَلة ضد البُطء.
الضحول (بدلاً من: العجول): شفاء الغرام.
ثمت: الأزرقي، أخبار مكة.
لمن (بدلاً من: ثم): شفاء الغرام.
تنطلق: أنساب الأشراف، ومعجم ما استعجم.
انطلق: الأزرقي، أخبار مكة، وشفاء الغرام.
الصُّدور: الرجوع والانصراف، والمراد: انصرافهم من الأماكن التي كانوا فيها، وقدومهم مكة. والأُفُق: ما ظهر من أطراف الأرض، أي نواحيها.
بِشِبَعٍ: معجم ما استعجم. والشِّبْع من الطعام: ما يكفيكَ ويُشْبِعُكَ من الطعام وغيره، ومن الماء: ما يُرْوي العطشان.
بالري (بدلاً من: بالشبع): المناقب المزيدية.
للحي (بدلاً من: للناس): الأزرقي، أخبار مكة.
للحاجّ (بدلاً من: للناس): الفاكهي، أخبار مكة، والمناقب المزيدية، ومعجم البلدان، والشعراء الجاهليون الأوائل.
الحَجِّ (بدلاً من: للناس): معجم ما استعجم. والحج: يريد أهل الحج.
وظامُ (بدلاً من: وَرِيّ): المناقب المزيدية.
المغتبق: الأزرقي، أخبار مكة، والفاكهي، أخبار مكة.
والرِّيّ: الشرب، نقول: رَوِيَ من الماء بالكسر، يَرْوَى رَيّاً ورِوًى وتَرَوَّى وارْتَوَى كله بمعنى، والاسم: الرِّيُّ. والاغتباق: الشرب عند العشية.
وَرِيٍّ مُنْطَبِقْ: معجم البلدان.

تحقيق النسبة وتخريج الأشطار:

(159) بئر قديمة بمكة احتفرها بنو سَهْم، وهي بئر بني سَهْم. ابن هشام، السيرة النبوية 158:1، وانظر الأزرقي، أخبار مكة 220:2، والفاكهي، أخبار مكة 103:4، و109، و110، والبلاذري، فتوح البلدان: 62، والبكري، معجم ما استعجم:

726، و1003، والسهيلي، الروض الأنف 175:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 136:1 لبني زُهْرة، و239:4، وابن منظور، لسان العرب، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس: (غمر).

(160) 1–2: البكري، معجم ما استعجم: 726، وانظر الفاكهي، أخبار مكة 103:4، والبلاذري، فتوح البلدان: 62، والسهيلي، الروض الأنف 175:1، وياقوت الحموي، معجم البلدان 239:4.

رواية الأشطار، وشرح المفردات:

(161) الغَمْر: الماء الكثير المغرق.

تشُجُّ: معجم البلدان، وهو خطأ مطبعي، لأن اللفظة وردتْ على صحتها في الكتاب نفسه طبع دار صادر 211:4. وتثج: الثَّجُّ، الصَّبُّ الكثيرُ، وخص بعضهم به صَبَّ الماء الكثير، وقيل: الثَّجُّ: السَّيَلانُ، وثَجيجُ الماء: صوتُ انصبابه. وأراد أن البئر امتلأت بالماء من كثرته.

الماء: أخبار مكة.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد (ت 606هـ)، المرصّع، تحقيق إبراهيم السامرائي، 1991م، ط1، دار الجيل، بيروت، ودار عمّار، عمّان.

ابن الأثير، أبو السعادات، المبارك بن محمد (ت 606هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1997م، ط1، دار الفكر، دمشق.

الأزرقي، أبو الوليد، محمد بن عبدالله (ت 250 هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، 1996م، ط8، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق ين يَسار (ت 151هـ)، السيرة النبوية، تحقيق أحمد فريد المزيدي، 1424هـ– 2004م، ط1،، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن إسحاق، محمد بن إسحاق ين يَسار (ت 151هـ)، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكّار، 1398هـ– 1978م، ط1، دار الفكر، بيروت.

ابن الأعرابي، أبو عبدالله، محمد بن زياد (ت 231هـ)، كتاب البئر، تحقيق رمضان عبدالتوّاب، 1970م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، 1313هـ، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبدالحليم النجّار وآخرين، 1993م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

أبو البقاء، هبة الله، محمد بن نما الحلّي (عاش ما بين 450هـ – 550م)، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق محمد عبدالقادر خريسات وصالح موسى درادكة، 1420هـ– 2000م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين.

البكري، أبو عُبيد، عبدالله بن عبدالعزيز (ت487هـ)، معجم ما استعجم، حقّقه وضبطه مصطفى السقّا، 1403هـ– 1983م، ط3، عالم الكتب، بيروت.

البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميدالله، 1987م، ط3، دار المعارف، القاهرة.

البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ)، فتوح البلدان، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان، 1350هـ– 1932م، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

بورا، ك موريس، الغناء والشعر، ترجمه عن الفرنسية يوسف شلب الشام، 1992م، دمشق، دار طلاس.

البياتي، عادل جاسم، مدخل إلى البدايات الشعرية عند العرب، 1399هـ– 1979م، مجلة كلية الآداب، العدد الخامس والعشرون، جامعة بغداد، بغداد.

الجبوري، يحيى، 1407هـ – 1986م، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الجواليقي، أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد (ت 540هـ)، المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، 1361هـ– 1942م، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ)، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، 1404هـ– 1984م، ط3، دار العلم للملايين، بيروت.

ابن حَجَر العسقلاني، أبو الفضل، أحمد بن علي (ت 852هـ)، فتح الباري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

ابن حَزْم، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ)، جمهرة أنساب العرب، مراجعة وضبط لجنة من العلماء، 1418هـ– 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن حَنْبَل، أبو عبدالله، أحمد بن محمد (ت 241هـ)، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر.

الخطّابي، أبو سليمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 388هـ)، غريب الحديث، تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي، 1402هـ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

ابن دُرَيْد، أبو بكر، محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، 1987م، ط1، دار العلم للملايين.

دلّو، برهان الدين، 2004م، جزيرة العرب قبل الإسلام: التاريخ الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي، والسياسي، ط2، دار الفارابي، بيروت، والمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر.

الزُّرْقاني، أبو عبدالله، محمد بن عبدالباقي (ت 1122هـ)، 1411هـ، شرح الزُّرْقاني على موطأ الإمام مالك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

الزنّاد، الأزهر، 1992م، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت.

سالم، السّيّد عبدالعزيز، 1989م، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، 1403هـ- 1983م، ط2، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم – إيران.
ابن سعد، أبو عبدالله، محمد بن سعد (ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا، 1410هـ- 1990م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
السهيلي، أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله (ت 581هـ)، الروض الأنف (بهامش السيرة النبوية)، تعليق وضبط طه عبدالرؤوف سعد، 1978م، دار المعرفة، بيروت.
الشافعي، يحيى، موسوعة شعراء العرب، 1999م، ط1، دار الفكر العربي، بيروت.
صَفيَّة بنت عبدالمطلب، شعرها، جمع وتحقيق ودراسة محمد أبو المجد علي البسيوني، 2002م، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.
ضيف، شوقي، 1977م، العصر الجاهلي، ط3، دار المعارف، القاهرة.
الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت 310هـ)، 1407هـ- 1987م، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
عبدالرؤوف، محمد عَوْني، 1976م، بدايات الشعر العربي بين الكَمّ والكَيْف، مكتبة الخانجي، القاهرة.
عبدالله بن رواحة، 1988م، ديوانه ودراسة في سيرته وشعره، وليد قصّاب، ط2، دار الضياء، عَمَّان.
أبو عبيدة، مَعْمَر بن المثنّى (ت 209هـ)، أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة عادل جاسم البياتي، 1407هـ- 1987م، ط1، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت.
علي، جواد، 1980م، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط3، مكتبة النهضة، بغداد، ودار العلم للملايين، بيروت.
غرنباوم، غوستاف فون، دراسات في الأدب العربي، ترجمة إحسان عباس وآخرين، 1959م، دار مكتبة الحياة، بيروت، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت – نيويورك.
الفاسي، أبو الطيب، محمد بن أحمد (ت 832هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، 1956م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.
الفاكهي، أبو عبدالله، محمد بن إسحاق (ت بعد 272هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، 1994م، ط2، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ودار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
الفريجات، عادل، 1994م، الشعراء الجاهليون الأوائل، ط1، دار المشرق، والمكتبة الشرقية، بيروت.
الفيروزآبادي، مجد الدين، أبو طاهر، محمد بن يعقوب (ت 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، 1407هـ- 1987م، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
قرون، حسن، زمزم بنت التاريخ، 1983م، مجلة الأزهر، الجزء الثامن، السنة الخامسة والخمسون، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، القاهرة.
ابن كَثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، البداية والنهاية، مراجعة جمهور من المحقّقين، 1994م – 1999م، ط5، مكتبة المعارف، بيروت.
كُثيِّر عَزَّة، 1391هـ- 1971م، ديوانه، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
ابن ماجه، أبو عبدالله، محمد بن يزيد (ت 275هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.
مارون، جورج خليل، شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان، 1997م، ط1، المكتبة العصرية، بيروت.
المبيضين، ماهر أحمد، 2003م، الأسرة في الشعر الجاهلي: دراسة موضوعية وفنية، ط1، دار البشير، عمّان.
مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض، محمد بن محمد (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عدد من الأساتذة، 1369هـ- 1399هـ- 1969م – 1979م، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.
المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ)، 1385هـ- 1965م، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1، دار الأندلس، بيروت.
مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق وتصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، 1374هـ – 1954م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
المُصْعَب الزُّبَيْرِي، أبو عبدالله، المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت 236هـ)، نسب قريش، تصحيح وتعليق إ. ليفي بروفنسال، 1999م، ط4، دار المعارف، القاهرة.
ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مُكَرَّم (ت 711هـ)، 1955م – 1992م، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت.
مهنّا، عبد، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، 1990م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
هارون، عبدالسلام محمد، 1409هـ- 1989م، تهذيب سيرة ابن هشام، ط6، مكتبة السنّة، القاهرة.
ابن هشام، أبو محمد، عبدالملك بن هشام (ت 218هـ)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقّا وآخرين، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
ياقوت الحموي، أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، 1990م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ياقوت الحموي، أبو عبدالله، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ)، 1374هـ- 1955م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ودار بيروت، بيروت.
اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر (ت 292هـ)، تاريخ اليعقوبي، علّق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، 1423هـ – 2002م، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.

Quraish Clan Songs of Wells in the Pre-Islamic Period

*Laila T. Al-Omari**

ABSTRACT

This paper is based on garnering the songs of wells in the Pre-Islamic Period. The significance of these songs lies in getting today's reader acquainted with his/ her Arab heritage of which they constitute a vital past related to the various aspects of life in the Pre-Islamic Period. The researcher's doing this job provides us with the indication that such lyrics, though few in number, were popular amongst Arabs who dug their wells to supply people and pilgrims with drinking water, bearing in mind that water, in Mecca was insufficient, that people used to drink from ponds at the mountain peaks outside of Mecca.

That each tribe tried hard to attract other tribes by using its wells to supply people and pilgrims with drinking water, which gave it the upperhand over the other tribes in terms of religion, politics, and economy, and that Mecca at that time was a religious theater targeted by pilgrims coming from different parts of the world to perform their religious rites.

To achieve the afore-mentioned objectives, Arabs followed different ways to highlight the advantages of their wells in their lyrics. Many a time did they describe their wells as being full and overflowing, and the water in them as being rich, tasty, pure, clear, and good for diseases.

In view of the deep connection between these lyrics and providing drinking water for pilgrims, the researcher has mad much use of religious books, such as those dealing with the prophet's (Allah May Bless Him) life, uncommon Hadith and news of Mecca. She has also resorted to dictionaries of towns and language that referred to a group of these lyrics.

Keywords: Song, Lyric, Wells, Digging, A Drinking Water Source.

* Faculty of Arts, The Hashemite University, Jordan. Received on 12/10/2014 and Accepted for Publication on 11/12/2014.